

الأمن في حياة الأنبياء

عليهم السلام

إعداد

د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن تاريخ الإنسانية مليء بالشواهد والدروس المرتبطة بحياة البشر على هذه الأرض ، ولعل قضية الأمن تعد إحدى الشواغل الأساسية لحياة البشر مهما اختلفت أجناسهم ومستوياتهم وتعددت مذاهبهم فهو ضرورة قصوى لا غنى للبشر عنها بأي حال من الأحوال .

وللحفاظ على الأمن في المجتمعات البشرية وجدت شرائع خاصة وأنظمة مختلفة تعلن أنها تكفل لهم العدل والمساواة ، وتوضح لهم حقوقهم وتبين واجباتهم ، مع اختلاف مصادرها وخروجها عن هدفها أحياناً ، بالإضافة للأجهزة الأمنية العامة التي تمارس عمليات ضبط الأمن وما يرتبط به في المجتمعات ، كما وجد إحساس أمني عام لدى الناس نحو قضايا أمنية مختلفة ، وقد اهتم الناس بالتأريخ لحياة المجتمعات البشرية ولبعض الأحداث المرتبطة بالأمن في حياتهم ، وهذا التاريخ اجتهد فيه الكتاب عبر العصور وفي الحضارات المختلفة ، فكانت لهم مصادره المتعددة للبحث في موضوعات الأمن عبر التاريخ ، وعرف المسلمون في ثقافتهم العامة التاريخ للمجتمعات البشرية وما يرتبط بحياتهم منذ القدم ، بل منذ خلق أبونا الأول آدم -عليه السلام- ، وكانت لهم مصادره في بحث تاريخ الحياة البشرية وما يرتبط بها من القضايا الأمنية وتاريخها ، وقد برزت قضية الأمن من خلال الحديث عن قصص الأنبياء -عليهم السلام- فكانت للمسلمين مصادره الموثقة للبحث في الموضوع ، وعلى رأس تلك المصادر (القرآن الكريم) كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن المعلوم أن القرآن الكريم كتاب تشريع وهداية ، وهو أيضاً

مصدر تاريخي ثابت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما يقصه الله علينا من أخبار الأمم السابقة هو أصدق الأخبار وأصح القصص، يعتمد عليه في معرفة الماضي ورسم الحاضر وتصور المستقبل، فكانت قصص القرآن دروساً وعبراً للناس كافة، وللعقلاء منهم خصوصاً المفكرين بألبابهم وعقولهم، يقول الله تعالى :

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (يوسف، ١١١) .

ويقول تعالى :

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (هود، من الآية ١٠٠) .

ويقول تعالى : تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ (الأعراف، من الآية ١٠١) كما أن في روايات الحديث الشريف الكثير من الأخبار عن الأنبياء ، حيث كان يضرب بهم رسول الله ﷺ المثل لأصحابه ؛ لينالوا من علمهم ويتأدبوا بأدابهم.

ويقول تعالى : كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (طه ، ١٠٠) .

لقد كانت حياة الأنبياء محطات هامة في تاريخ البشرية عبر ألاف القرون وعبر حضارات متعددة، وأزمة متفرقة، ولذلك فإن المؤرخين المسلمين يفيضون في الحديث عنهم في موسوعاتهم التاريخية، ويدخلون في تفاصيل دقيقة عن حياتهم والأحداث التي رافقتها، وهم يستمدون أدلتهم وشواهدهم مما ورد في القرآن الكريم عنهم، كما تعد

مصادر أهل الكتاب من اليهود والنصارى وخصوصاً أسفار العهد القديم وشروحاته مما يستأنس به في هذا المجال إذا لم يتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولم يتعارض مع ما عرف من طهارة الأنبياء وثباتهم على الحق وعدلهم وإنصافهم، فهم المصطفون الأخيار -عليهم السلام- وبالتالي ينبغي الوقوف على بعض ما نسب إليهم والدفاع عنهم. والباحث في تاريخ الأنبياء يواجه مشكلة تحديد تواريخهم بدقة، ورغم محاولات المؤرخين المسلمين القدماء والمحدثين وما نقله أهل الكتاب ومحاولات بعض المؤلفين المعاصرين، إلا أن الجزم بتواريخ معينة هو من أصعب ما يواجه الباحث، خصوصاً أن الأدلة قد تكون غير قاطعة في مثل هذه الجوانب.

وقد ميزت الأمة تاريخ الأنبياء قبل الرسول ﷺ بعلم خاص ودراسات مستقلة فصلتها في تاريخها وقصصها عما يرتبط بحياة النبي ﷺ، وميزت تاريخ الرسول ﷺ بما يعرف بعلم السيرة والمغازي، ولذلك فإنه لا يدخل ضمن هذا البحث حديث عن سيرة المصطفى ﷺ وما يرتبط بها من قضايا أمنية، لأن هذا موضوع مستقل بذاته يحتاج إلى أبحاث متعددة.

وهذا البحث محاولة لمعالجة القضايا الأمنية في حياة الأنبياء قبل الرسول ﷺ، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله المستعان.

تمهيد :

الآمن : في اللغة العربية يقصد به نقيض الخوف ، وأصله طمأنينة النفس ومن ذلك قوله تعالى: الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ (قريش ، ٤) .

ومنه قوله تعالى على لسان يعقوب : قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (يوسف ، ٦٤) .

وتأتي الأمانة بمعنى الاطمئنان والرخاء والراحة والبعد عن الخوف.

ويقال للبلد : آمن إذا كان أهله مطمئنين غير خائفين يقول تعالى وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا (البقرة ، من الآية ١٢٥) .

كما يقال للرجل : أمنت ، أي : بعد عنك خوفك وما كنت تخشاه.

وذهاب الأمن عن رجل بذاته أو عن بلد بعينها يقصد به توقع مكروه يخشى منه.

ويرتبط بها (الأمانة) وهي نقيض الخيانة ، ويقصد بها الحفظ والحراسة والثقة.

كما يرتبط بها الإيمان ، ويقصد به الخضوع لله تعالى والسير على شرعه وما أمر به واعتقاده يقيناً وتطبيقه عملاً ، ومن كانت هذه حقيقته فهو المؤمن^(١) .

(١) راجع : ابن منظور، لسان العرب ج١٣/٢١ ، الزبيدي ، تاج العروس ج٩/ ١٢٧ ، مجموعة من المؤلفين ، المعجم الوسيط ص(٢٨) .

وقد صارت القضايا والحوادث المرتبطة بأمن الناس وما يضاد ذلك من ترويع وتخويف تعرف بين عامة الناس بأنها قضايا وحوادث أمنية ، وعرف هذا الأمر عبر العصور المختلفة ، حتى صارت هناك أجهزة معينة وأناس مختصون بهذا الأمر ، وأمن الإنسان على حياته وعرضه وماله وشؤونه كافة من الأمور التي لامست تأريخ الأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى عصر نبينا محمد ﷺ ، وقد سجلت الآيات القرآنية والروايات المختلفة حداثيات وتاريخية في حياة الأنبياء العديد من القضايا التي يمكننا جعلها مما يرتبط بالأمن في حياتهم بمفاهيمها المتعددة عبر عصور التاريخ البشري .

الأمن في حياة آدم :

إن أول قضايا الأمن التي تواجهنا في قصص الأنبياء ما ورد في القرآن الكريم عن آدم - عليه السلام - ومصدر الحديث عنه في القرآن الكريم ، فقد كانت الملائكة تخشى بوجود آدم وذريته من الفساد في الأرض وسفك الدماء فيها^(١) ، ولكن الله سبحانه وتعالى يعلم ما لا تعلمه الملائكة وهم خلق من خلقه ، يقول الله سبحانه وتعالى وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (البقرة ، ٣٠) . كان يعيش في الجنة بأمن وأمان ، لا يخاف شيئاً من الفزع ولا من النقص في حاجاته^(٢) ، ومع هذا الأمن الذي يعيشه فقد كان

(١) انظر: الراجحي ، آدم كما تحدث القرآن ، ص ٤ .

(٢) انظر إلى الموضوع الخاص عن حياة آدم في الجنة في . الطبري ، تاريخه ، ج ١/ ٥٦ ، ابن الأثير ، الكامل ج ١/ ٣٢ ، ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ج ١/ ٧٧ ، الفقي ، قصص الأنبياء ، ص ٢٢ .

مهتداً بفقدته في حال المعصية لأمر الله واتباع الشيطان وأوامره المفسدة التي تورث غضب الرب، وما يتبع ذلك من خوف وذلة. وتفصيل تلك الحوادث هي كما قصها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه العزيز فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (طه ، ١٢٢) .

لقد كانت الشجرة في الجنة محرمة على آدم بأمر الله سبحانه وتعالى ' وهو الخالق الحكيم المنظم لحياة الناس، وأمره هو الشرع والنظام، وبالتالي فإن الأكل من الشجرة يعني الخروج على شرع الله ونظامه والتعدي للحدود التي وضعها الله لهذا النظام ^(١) ، وبالتالي استحق آدم ما أصابه نتيجة عمله فأهبط إلى الأرض، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن الكريم محذراً بني آدم من طريق المعصية والخطيئة والفتنة، يقول تعالى: " يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (الأعراف ، ٢٧) .

لقد أنزل آدم -عليه السلام- إلى الأرض، وأخذ الترويع يدخل حياته، وصار يخاف من العدو الأول إبليس ويخشى على أبنائه من

(١) الراجحي، آدم كما تحدث القرآن ص ٤ .

الوقوع في الجريمة أو اعتداء بعضهم على بعض ، نتيجة وجود دوافع الجريمة المختلفة ، وبالفعل وجد الدافع للوقوع في أول حوادث القتل البشري على الأرض ، حادثة قتل قابيل لهابيل^(١) ، لقد كان دافع القتل الأول بين الأخوين التنافس على المرأة ، وقد أورد ابن كثير تفصيلاً لذلك حيث روى عن ابن عباس " أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل ، وأخت قابيل أحسن فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى ، فأمرهما أن يقربا قربانا ، وذهب آدم ليحج إلى مكة واستحفظ السموات على بنيه فأبين والأرضين والجبال فأبين ، فتقبل قابيل بحفظ ذلك فلما ذهب قريبا قربانهما فقرب هابيل جذعة سميكة وكان صاحب غنم ، وقرب قابيل حزمة من زرع من ردى زرع ، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلك حتى لا تنكح أختي ، فقال : إنما يتقبل الله من المتقين »^(٢) .

وفي ثنايا تلك الحادثة يمكننا أن نرى الفرق بين الأشخاص ، حيث إن هابيل كان رافضاً للاعتداء على أخيه مهما كانت الظروف حتى ولو أنه اعتدى عليه :

(١) الطبري ، تاريخه ، ج ١ / ٦٨ - ٦٩ ، انظر : الشعلي ، قصص الأنبياء (عرائس المجالس) ص ٤١ ، وانظر الفصل الخاص بهذه الحادثة عند ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١ / ٩٢ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ / ٩٣ .

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ .

« وقوله له لما توعدده بالقتل : (لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا
بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) دل على خلق
حسن وخوف من الله تعالى وخشية منه وتورع أن يقابل أخاه بالسوء
الذي أراد منه أخوه مثله»^(١) .

كما يمكن من خلال الأحداث المصاحبة لتلك الجريمة أن ندرك
بعض ما يرتبط بالجريمة في حياة البشر، حيث نعرف دوافع الجريمة،
ومنها المنافسة على المرأة، فكم من حادثة وقعت بين الناس كانت
المنافسة على المرأة سبباً فيها، كما أن من أسباب الجريمة الحسد والحقد
الأعمى، حيث لم يكن عند قابيل سبب وجيه للاعتداء على أخيه فقد
كان الأخ مسالماً بعيداً عن الاعتداء على قابيل بالإضافة إلى أن حصول
هابيل على من ولدت مع قابيل للزواج منها هو الأمر والنظام والشرعية
في زمن آدم - عليه السلام -^(٢) ، ومع ذلك فقد غار قابيل من أخيه
هابيل وحسده على ما كان حقاً طبيعياً له^(٣) .

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ٦٩، الثعلبي، قصص الأنبياء (عرائس المجالس)
ص ٤٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٩٣، عفيف طيارة، مع الأنبياء، ص ٥٤،
حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء ص ١٧ .

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/ ٧٠ .

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ج ١/ ٣٦ .

كما أن قابيل كان يبيت قتل أخيه ، عازماً على ذلك ، يقول ابن سعد : " لما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج البطن الأول البطن الثاني والبطن الثاني البطن الأول يخالف بين البطنين في النكاح ، وكانت أخت قابيل حسنة وأخت هايل قبيحة ، فقال آدم لحواء الذي أمر به ، فذكرته لابنيها ، فرضي هايل وسخط قابيل وقال : لا والله ما أمر الله بهذا قط ولكن هذا عن أمرك يا آدم ، فقال آدم : فقربا قربانا فأيكما كان أحق بها أنزل الله نارا من السماء فأكلت قربانه فرضيا بذلك فغدا هايل - وكان صاحب ماشية - بخير غذاء غنمه وزبد ولبن ، وكان قابيل زراعاً فأخذ من شر زرعه ثم صعدا الجبل وآدم معهما فوضعا القربان ودعا آدم ربه وقال قابيل في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا ، لا ينكح هايل أختي أبدا فتزلت النار فأكلت قربان هايل وتجنبت قربان قابيل لأنه لم يكن زاكي القلب فانطلق هايل فأتاه قابيل وهو في غنمه فقال لأقتلنك " (١) .

كما أن من أسباب الجريمة في هذه الحادثة الشعور بالفشل فقد تقبل الله من هايل ولم يتقبل من قابيل وبالتالي فإنه أصيب بشعور المذنب وزاد في الإصرار على الجريمة (٢) ، ولعل ذلك جدير بالدراسة والتنوية .

لم تقف جريمة قابيل عند قتل أخيه بل تعداه إلى محاولة الاعتداء على أخته في البطن وهذا اعتداء آخر وخلل أمني آخر ، وقد نتج عن إخلال قابيل بالأمن أن أصبحت حياته مليئة بالخوف ، قد روي عن ابن

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ١/ ٣٦ .

(٢) طبارة ، مع الأنبياء في القرآن ، ص ٥٣ .

عباس قال : " لما قتل قابيل أخاه هابيل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل إلى الحضيض ، فقال آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه " (١) .

لقد كانت حادثة القتل الأولى في البشر هي حادثة قتل هابيل ، ومع تكاثر ذرية آدم وزيادة نسله وتسلسل أبنائه وأحفاده وكثرة الشعوب والقبائل والامتداد البشري في كل مكان ، تكاثرت الجرائم وتكرر الاعتداء على الآخرين ونزلت الشرائع السماوية لتقييم العدل بين الناس مع التذكير بالجريمة الأولى وما تبع صاحبها من عقوبة ، والوعيد لمن يقع فيما وقع فيه قابيل بالعقوبات الإلهية في الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالى : **مَنْ أَجَلْ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** (المائدة ، ٣٢) .

وعقب الله سبحانه وتعالى على تلك الآيات بتقرير حكم الحراة في الشرع وجزاء المفسدين في الأرض بقوله : **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (المائدة ، ٣٣) .

وفتح الله سبحانه وتعالى باب التوبة والإصلاح لمن رجع إلى طريق الحق من هؤلاء بقوله :

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١/ ٣٧ ، انظر : رشدي البدرائي، قصص الأنبياء في التاريخ، ص ٢٨ .

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(المائدة ، ٣٤) .

وهذه الأحكام الشرعية المتعلقة بأمن الناس في أرواحهم جاءت تبعاً للحديث عن الجريمة البشرية الأولى وقتل النفس الأولى في القرآن الكريم.

وقد أخبر الرسول - ﷺ - بمسؤولية ابن آدم عن انتشار حوادث القتل في الأرض ، حيث إنه هو أول من سنّها ، فقال - ﷺ - فيما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل " ^(١) .

هود - عليه السلام - :

لقد بعث الله نبيه هوداً - عليه السلام - إلى قومه عاد ، وهم من العرب البائدة ^(٢) ، وكانت مواطنهم في الأحقاف جنوب الربع الخالي مما يلي عمان وحضرموت ^(٣) ، وقد سميت باسم بلادهم سورة من سور

(١) البخاري ، صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء (باب خلق آدم وذريته) ج ٤ / ١٠٤

(٢) هادون العطاس ، عاد في التاريخ ، - ص ١٥ ، وانظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ١ / ٢٩٩ - ٣١٠ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ / ١١٥ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ / ١١٩ ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ١ / ٢٦ ، اليعقوبي ، تاريخه ١ / ٢٢ ، عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، ص ٧١ ، جواد علي ، المفصل ، ج ١ / ٣١١ ، محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن في بلاد العرب ص ٢٤ ، البدراوي ، قصص الأنبياء ، ص ١٤٨ .

القرآن الكريم سورة (الأحقاف) وكانت لهم مدينة عظيمة تسمى (إرم)^(١)
وهي الواردة في قوله تعالى :

(٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا
فِي الْبِلَادِ (الفجر ، ٨) .

عاش قوم عاد قبل الهجرة بقراية ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ،
وقيل أكثر من ذلك^(٢) ، وقيل أقل بكثير^(٣) ، ويؤكد القرآن أنهم أقرب
الأمم إلى عصر نوح -عليه السلام- قال تعالى : أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ
مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الأعراف ، ٦٩) .

كان قوم عاد أهل حضارة مادية مميزة^(٤) ، فعندهم قوة في
الأجسام ، وتجميع للقوى ، مما أوجد عندهم قوة ضاربة ، كما أنعم الله
عليهم في بلادهم بالثروات والتقدم في العمارة^(٥) ، وهو ما أشارت
إليه الآيات القرآنية في قوله تعالى كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٢٦) وَمَا

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ / ١٥٥ .

(٢) هادون العطاس ، عاد في التاريخ ، ص ٧٧ .

(٣) انظر : د . محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن في بلاد العرب
ص ٢٦٠ . وقد جعل عاد بعد قوم صالح ثمود وقبل إبراهيم عليه السلام -
مباشرة .

(٤) انظر : هادون العطاس ، عاد في التاريخ ، ص ٦٩ . محمد بيومي مهران دراسات
تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب ص ٢٤٢ .

(٥) الطبري ، تاريخه ، ج ١ / ١١٠ .

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (الشعراء ، ١٣٨) .

لقد دفعتهم قوتهم وأموالهم إلى ظلم الآخرين والاعتداء بغير حق والإفساد في الأرض^(١) وهو ما أشار إليه قوله تعالى: فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (فصلت ، ١٥) .

لقد كفر قوم عاد وجحدوا نبيهم ولم يؤمنوا، وكان للمتفرفين منهم دور في تزعم الإجرام والكفر والطغيان والفساد في الأرض ويشير إلى ذلك قول الله تعالى :

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هِيَ هِيَ هِيَ لِمَا تُوْعَدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١١٠ ، الشعلي، قصص الأنبياء، ص ٦٠ ، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ٨٦ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٢١ ، البدرائي، قصص الأنبياء، ص ٤٨ .

وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (المؤمنون) .

هكذا كانت النتيجة لهؤلاء الكفار المعاندين الذين كانوا يفسدون في الأرض ويعتدون على الآخرين ، ولذلك فإن ظلم الناس والاعتداء عليهم إنما هو من أخلاق الكفرة المتكبرين الذين لا يؤمنون بالله ولا بأليم عقابه في الدنيا والآخرة .

صالح - عليه السلام - :

بعث الله نبيه صالحاً - عليه السلام - إلى قومه (ثمود) وهم من سكان بلاد العرب^(١) ، وقد عاش قوم صالح على أقرب الآراء قبل الميلاد بقرابة ألف وخمسمائة سنة^(٢) ، وكانوا يقطنون في بلاد الحجر والتي سميت باسمها سورة (الحجر) في القرآن الكريم ، وكان قوم صالح يعيشون فيها وطناً آمناً توافرت فيه أسباب العيش المختلفة وتسمى حالياً بـ (مدائن صالح) وقد مر بها النبي - صلى الله عليه

(١) انظر: الطبري، تاريخه ١١٦/١ ، ابن الأثير، الكامل ج ١/٨٩ ، المسعودي، مروج الذهب ج ٢/١٤ ، جواد علي، المفصل، ج ١/٣١٠ .

(٢) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٧٩ ، وانظر مناقشة د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن في بلاد العرب ص ٢٨ ، وإن كان يرى أنهم كانوا بعد إبراهيم - عليه السلام - ، والذي يبدو أن الذين عاصروا إبراهيم وعاشوا بعده بقرون هم من ذرية من نجا مع صالح - عليه السلام - .

وسلم - في أثناء مسيره إلى غزوة تبوك^(١) ، يقول الله تعالى : إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمَنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ (١٥٢) (الشعراء) .

لقد كان قوم صالح في رغد من العيش آتاهم الله الموطن الصالح وجعل فيه من الخيرات والنعم ما ييسر لهم سبل العيش ، حتى أصبحت حياتهم آمنة مستقرة ، وكان هذا الأمن نعمة تميز بها مجتمع ثمود بالإضافة للنعم الأخرى المختلفة^(٢) ، ومن هنا جاء تذكير صالح لهم بهذه النعمة وتخويفه لقومه من فقدانها بكفرهم وظلمهم أنفسهم في قوله : " أتركون فيما ها هنا آمنين " ، وحذرهم من الكفر وعصيان أمر الله والاعتداء على حدوده وأنهم بذلك سيخسرون دنياهم وآخرتهم . وقد اعتدى قوم ثمود على الناقة التي حذرهم نبيهم من قربها هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوءٍ فإخذكم عذاب أليم (الأعراف ، ٧٣) . فظلموا أنفسهم وعصوا أمر الله ، وعقروها .

(١) البخاري ، صحيحه ، كتاب المغازي (باب نزول النبي - صلى الله عليه وسلم الحجر) ، ج ٥ / ١٣٥ ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤ / ٥٢١ ، الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ٢ / ٦٦ ، الصالح الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج ٥ / ٦٤٤ ، السندي ، التبر المسبوك في مرويات غزوة تبوك ، ص ٤٣٠ .

(٢) البدر اوي ، قصص الأنبياء والتاريخ ، ٣٧ .

وقد يتبادر إلى الذهن أن عاقر الناقة شخص واحد لكن الواقع أن القوم كلهم شاركوه الجريمة ، إما بموافقتهم إياه على إتيانها وتعاونهم معه في ذلك ، وإما بسكوتهم على الجريمة ونظرهم للمجرم يقوم بجريمته ولم يحاولوا إيقافه عن تلك الجريمة ، وبالتالي عمتهم العقوبة ، يقول الله تعالى : كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) (الشمس) .

كما يتبين من قصة صالح أن هناك جماعة من المتطهرسين المتكبرين الذين يتعالون على أوامر الله ونواهيهِ ، وهم أجراً الناس على الظلم بسبب تكبرهم وعنادهم ، وبالتالي فقد أقدموا على الجريمة فكانوا أجراً من غيرهم عليها .

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (الأعراف) .

كما أنه مع وجود هؤلاء الجماعة من المجرمين المخالفين فإن أحدهم كان أبرز من الآخرين في القيام بالجريمة فهم يقدمونه عليهم في هذا الأمر ، وهذا ما تمتاز به جماعات الإجرام حيث يكون فيهم زعيم يبادر للقيام بالجريمة ويتجرأ عليها أكثر من غيره ، وكان من بينهم (قدار بن سالف) ، وهو عاقر الناقة^(١) الذي كان أكثرهم جراءة عليها :

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/ ٢٢ ، الطبري، تاريخه، ج ١/ ١١٧ ، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٦٨ ، القضاعي، الإنباء بأنبياء الأنبياء، ص ٥٨ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٣٥ .

كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) (الشمس) .

كما أن مما يزيد المجرم إقداماً على جريمته تكرار الجريمة منه وكونه من المفسدين حيث تزيد جرأة المجرم على جريمة في حال وقوعه المتكرر فيها فيقوى قلبه على إتيان الجريمة ، وهذا ما حصل لعاقرة الناقة حيث تشير الآية الكريمة لاختيارهم لعاقرة الناقة ومناداته ليقوم بتلك الجريمة فنادوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (القمر ، ٢٩) .

ومن خلال البحوث والدراسات نجد كثيراً من الجرائم مصحوبة بالمخدرات أو المسكرات.

كما يتبين من الحديث عن قصة صالح - عليه السلام - مع قومه (ثمود) في موطن آخر وجود عصابة مجرمة تأمروا على صالح بالقتل وتعاهدوا على ذلك وخططوا ليقوموا به سراً ويتبرءوا من الجريمة ، ويعدوا للأمر عدته للتصل من نتيجتها ، إلا أن مكرهم انقلب عليهم فحمى الله نبيه من هؤلاء المجرمين ^(١) ، وأهلكهم ، يقول الله تعالى :

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩)

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١١٧ ، القضاعي، الإنباء بأنباء الأنبياء، ص ٥٨ ، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٩ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٣٥ ، البدرائي، قصص الأنبياء والتاريخ، ص ١٦٥ .

وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (النمل) .

لقد هلك الظلمة المعتدون من ثمود، ونجّ الله صالحاً والمؤمنين

معه .

إبراهيم - عليه السلام - :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (الأنعام) .

ويعود نسب إبراهيم - عليه السلام - إلى سام بن نوح، وقد ولد في أرض الكلدانيين بأور من أرض بابل^(١) قبل الميلاد بقراية (١٩٠٠) عام^(٢)، وقد نشأ في مجتمع وثني انتشرت فيه عبادة الأصنام والكواكب، وقد حفظه الله من الشرك فكان على الخيفية دين الفطرة رافضاً لكل أشكال الظلم وفي مقدمتها الشرك وهو أعظمها، وما يجره من ظلم للبشر واستغلال لهم، وقد حاول قومه منعه من التوحيد والدين الصحيح وهددوه بفقده للأمن إن هو خالف دينهم الباطل، كما هددوه بأن أصنامهم ستوقع به الضرر إن هو تركها، فكان بينهم وبينه

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٤١، عبدالغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص ٤٦ .

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ١/ ١٦، مهران، دراسات تاريخية من القرآن، ص ١٢٦، كنيث كاترتز وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥ .

حوار بين فيه - عليه السلام - ما هو عليه من دين الفطرة دين الحق ،
كما أوضح لهم حقيقة الأمن ومن الأولى به ، وقد أوضحت الآيات
الكريمة ما ذكره إبراهيم لقومه ونظرته للأمن في قوله تعالى :

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
(٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن
يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ
وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ (الأنعام) .

وقد كان الأمن الحقيقي لإبراهيم - عليه السلام - حيث لم تضره
أصنامهم بل هي التي لا تأمن على نفسها ولا تنفع أحداً ، فقد حطمها
إبراهيم - عليه السلام - ، أما هو فقد آمن من مكرهم وسلمه الله
سبحانه وتعالى من شرورهم وكيدهم.

لقد كان إبراهيم رحيماً مسالماً رغم ما تعرض له من تهديد ، فقد
عرض على أبيه الإيمان ودين الحق والسلامة والنجاة في الدنيا
والآخرة^(١) ، ومع ذلك فقد جُوبه بالتهديد والوعيد بالرجم والقتل ،
يقول الله سبحانه وتعالى :

(١) الطبري، تاريخه، ١٢١ ، أبو الفداء، المختصر، ج١/٢٧ ، ابن الأثير، الكامل،
ج١/٩٦ .

يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ
أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ
عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (مريم) .

كما أن إبراهيم -عليه السلام- قام بتحطيم الأصنام فأحس
المشركون بالفشل لعدم قدرة الأصنام على الدفاع عن نفسها، فأقاموا
محاكمة علنية لإبراهيم، دعوا الناس لحضورها ليقيموا الحجة عليه،
لكن الحجة قامت عليهم، وأقر القضاة بأن الظلمة هم الذين عبدوا هذه
الأصنام التي فشلت في الدفاع عن نفسها، وهم من بينهم، ومع ذلك
فقد كانت هذه المحاكمة ظالمة في حق إبراهيم. ووضوح الحجة^(١) وبيان
الحق جاء على ألسنة القضاة، ومع ذلك فقد كان الحكم ظالماً في حق
إبراهيم حيث صدر الحكم بإحراقه حياً لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه
من كيدهم، حيث أوقف الله سبحانه وتعالى سنة كونية عن العمل
لينجو خليله إبراهيم ويأمن من ظلم الطواغيت، لقد كانت محاكمة
إبراهيم علنية جُمع لها الناس من كل مكان فاتضح أن الحق كان معه،
ومع ذلك أصروا على عنادهم واستمروا في باطلهم، وفي تنفيذ عقوبة
ظالمة في حقه، يقول الله تعالى في تفصيلات هذه الأحداث: وَلَقَدْ آتَيْنَا
إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي
أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

(١) الشعبي، قصص الأنبياء، ص ٧٦، ابن الأثير، الكامل، ج ٩٨/١، ابن كثير،
البداية والنهاية، ج ١/١٤٥ .

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَلَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (الأنبياء) .

لقد انتقل إبراهيم -عليه السلام- من العراق إلى الشام ليعيش هناك ^(١) : فَأَمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (العنكبوت) .

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (الأنبياء) .

وبعد هجرة إبراهيم -عليه السلام- كان كريماً يتعرض للضيوف ليطعمهم ويوجههم ويدعوهم، وقد وصفه الرسول -ﷺ- بالكرم في

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/ ٢٤ ، الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٢٥ ، الثعلبي، قصص الأنبياء، ٧٩ .

الحديث الذي رواه البخاري: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : " قَالَ الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يُعْقُوبَ ابْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ " (١) وكان إبراهيم -عليه السلام- على خطر من بعض الضيوف أن يصيبوه بأذى أو يعتدوا عليه ، ومع ذلك فقد استمر في كرمه واستقباله للضيوف رغم الخوف منهم أحياناً :

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ (هود) .

وقد كان سبب خوف إبراهيم منهم عدم أكلهم من طعامه رغم إكرامه لهم .

وقد ورد أن إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة تعرضا للظلم من قبل ملك من الطغاة في زمانه حاول الاعتداء على سارة زوجة إبراهيم عليه السلام مما اضطر إبراهيم أن يوري ويقول عن سارة : إنها أختي ، حتى يأمن من الملك ، وقد نجى الله سارة من ذلك الطاغية (٢) .

لقد كانت حياة إبراهيم طويلة ، كان خلالها حريصاً على تنفيذ أوامر الله ونشر دينه وتربية أبنائه على الخير والإيمان ودعوة الناس إلى الخير ومساعدتهم عليه ، إلى غير ذلك مما عرف عنهم -عليهم السلام-

(١) البخاري، صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين، ج ٤/ ١٢١ .

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٥١ .

إلى أن توفاه الله في فلسطين ودفن بها^(١).

لوط - عليه السلام :

كان لوط ابن أخ لإبراهيم - عليه السلام -^(٢) ومن المؤمنين به قَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (العنكبوت) .

وقد هاجر لوط مع إبراهيم إلى بلاد الشام إلا أنه أقام في قرية سدوم^(٣) ، إحدى البلدان القريبة من بيت المقدس في تلك الفترة ، وقد بعث الله لوطاً ليكون نذيراً لأهل هذه القرية التي كان أهلها يعملون مختلف الجرائم الدينية والخلقية والمالية ، فقد كان أهلها يمارسون الشذوذ الجنسي (اللواط)^(٤) ، حتى أصبح ديدن حياتهم يجاهرون به في كل مكان يقول تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٥) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (الأعراف) . ويقول تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (النمل).

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج١/١٦١ ، الشعبي، قصص الأنبياء، ص٩٨ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٣ .

(٢) اليعقوبي، ج١/٢٤ ، الطبري، تاريخه، ج١/١٢٥ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/١٤٩ .

(٣) يرى الكثير من المؤرخين أن سدوم قرية قوم لوط تقع أسفل البحر الميت ولمعرفة المزيد عنها انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج٢/٧٢٩ ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/٢٠١ .

(٤) اليعقوبي، تاريخه، ج١/٢٥ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/١١٨ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/١٨٠ ، العهد القديم، سفر التكوين، ١٩

وانظر: كينيث كانتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص٥٢ ، عبد الغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص٤٩ .

ويقول تعالى : كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (الشعراء) .

وكان عملهم لجرمة اللواط جهاراً نهاراً أمام بعضهم البعض في أماكنهم وأنديتهم العامة : وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَتَنْكَحُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (العنكبوت) .

وهم لا يكتفون بعمل اللواط فيما بينهم بل يؤذون من ينهاهم عنه ويجبرون من يمتنع منهم على الوقوع فيه^(١) ، فكانت بينهم جرمة اللواط والاعتصاب وإيذاء من يصلحهم وينهاهم عن الجريمة. يقول تعالى : وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (الأعراف) .

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (الشعراء) .

ويقول تعالى : فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنْ الْغَابِرِينَ (النمل) .

(١) الطبري، تفسيره، ج ٢/ ١٠ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٨١ ، الشوكاني، فتح القدير، ج ٤/ ٢٠١ .

ويقول تعالى: قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (الشعراء) . كانوا يعتدون على عابري السبيل فيقطعون عليهم الطريق ليعتدوا على أعراضهم ويسلبوا أموالهم^(١) وقد نهاهم نبيهم لوط عن ذلك في قوله تعالى أُنْذِرْكُمْ لَسَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ مِنَ الْآيَةِ (العنكبوت) .

وقوله تعالى: قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ .

وهم باستمرار يعتدون جنسياً على من يقدم على مدينتهم ، وقد حاولوا الاعتداء على ضيوف لوط -عليه السلام-^(٢) إلا أنهم كانوا من الملائكة فحماهم الله وعذب المعتدين ، يقول تعالى: فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعْتَ أَعْيُنَهُمْ وَلَا يَلْتَفَتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (الحجر) .

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١/١٥٣ ، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٠٥ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٨٠ .

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٥١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٨٠ - ١٨١ .

لقد كانوا يعملون السيئات، وكل شيء من شهواتهم متوافر بين يديهم، ومع ذلك لم يتوقفوا عند حد معين في هذه الشهوة، فصاروا يبحثون عنها فيمن يمتنع منهم ليعتدوا عليه ويغصبوه عرضة^(١)، وقد وصفت تلك الأحداث في قوله تعالى: وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْ بِهَلِكِكَ بَقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (هود).

لم تكن جريمة اللواط وإتيان الفاحشة هي الجريمة الوحيدة عند قوم لوط، بل كان قطع الطريق وإرهاب الناس والاعتداء على أنفسهم وأموالهم من الجرائم الكبرى المنتشرة بين أهل سدوم بالإضافة إلى بعض وسائل اللهو المحرم^(٢)، وهي مما نهاهم عنه لوط في محاولاته لإصلاحهم بالإضافة لدعوته لهم إلى الإيمان وتخويفهم من عذاب الله

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٥٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٨٠.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٥١، الشعلي، قصص الأنبياء، ص ١٠٤، الشوكاني، فتح القدير، ٢٠١/ ٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٩٩١.

وعقوبته ، ومع ذلك فقد أصروا على إتيان الجرائم المختلفة والكفر بالله ودعوا على أنفسهم بالعذاب ، يقول تعالى : **أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** (العنكبوت) ، لقد استحق هؤلاء القوم عذاب الله الذي حل بهم ، وقد دخل في العذاب امرأة لوط التي كان قلبها مع قومها والتي ذكر العلماء أنها هي التي أبلغتهم عن ضيوف لوط عليه السلام - ^(١) : **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ** (هود) .

وهذه الجريمة الأخلاقية التي استوجب من أجلها قوم لوط ما حل بهم من عذاب هي من أكبر الجرائم والمعاصي التي توجب غضب الله وهو الذي اشتد في النهي عنها ، وهو الخالق والأعلم بما يصلح لخلقه ، ومع الأسف الشديد فإن كثيراً من المجتمعات الحديثة ذات النظم العلمانية اللادينية في أوروبا وأمريكا ومن سار على طريقتهم في التشريعات لا يرون بأساً بعمل قوم لوط ، بل وأعطوا ترخيصات رسمية للأندية التي ينتمي لها الشاذون جنسياً ، وأصبح بعض الزعماء يطمع في أصواتهم في الانتخابات رغم ما دلت عليه الأبحاث العلمية الواضحة من التأكيد على أن الشذوذ الجنسي هو أهم أسباب انتشار مرض الإيدز في العالم الذي يحصد ويُقعد الملايين في أنحاء العالم .
فأين المشرعون من البشر من هذه الحقائق؟! وأين الحريصون على الأمن

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج١/١٥٤ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/١٨٠ .

الاجتماعي والصحي في الدول الحديثة التي تزعم الحضارة والسيادة على العالم من هذه الحقائق وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما قال حيث روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر قوله - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - : " لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا " ^(١).

ولذلك تأتي أحكام الشريعة الإسلامية لمعاقبة من يقع في الفاحشة عموماً وفي اللواط خصوصاً، لتكون رادعة لمن يسبب الأمراض والأوبئة في المجتمع البشري من أمراض جسدية واجتماعية، وتتناقل صحف العالم الحديث عن مرض الإيدز وما يرتبط بذلك من مشكلات أسرية، زوجية وأبوية، بل وجرائم قتل تكون في بعض الأحيان من بعض من أصيبوا بالإيدز عن طريق الآخرين فيحاول الانتقام ممن تسبب له في الإصابة بالمرض، وتبارك الله الذي خلق الإنسان وشرع له ما يصلح له في حياته الدنيا، فقد خلق الإنسان وعلم كل أحواله، وشرع له ما يقيم له الحياة السليمة في دنياه، وما ينجي في أخراه.

شعيب - عليه السلام - :

بعث الله نبيه شعيباً عليه السلام إلى قومه من أهل مدين ، وكانوا في بلاد مدين وهي شمال غربي بلاد العرب ، وتعرف حالياً بمنطقة البدع شمال غرب تبوك ، وتبعد عنها قرابة ١٣٠ كيلو متر ^(٢) .

(١) ابن ماجة، سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ح ٤٠٠٩؟؟ .

(٢) انظر : البكري، معجم ما استعجم، ج ١/٢، ١٢٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥/ ٧٨ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ١٨٤ ، حمد الجاسر المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (شمال المملكة) القسم الثالث، ص ١٢٠٧ ، عاتق غيث البلادي، معجم الأماكن الواردة في السيرة النبوية، ص ٢٨٤ .

"كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم (مَدِين) التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط ، وجاءوا بعدهم بمدة قريبة ، ومدين قبيلة عرفت بها المنطقة^(١) ."

وتاريخ قوم شعيب في مدين وما جرى عليهم من أحداث هي بعد إبراهيم -عليه السلام- وقبل موسى -عليه السلام- يعني قرابة ألف وأربعمائة سنة قبل الميلاد^(٢) .

ولعل مما يؤكد ذلك قوله تعالى : وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (هود) .

وقد كان هؤلاء القوم مشركين يعبدون الأصنام من دون الله تعالى ، كما جعلوا لهم شجرة خصوها بالعبادة دون الله وبذلك (سُمُّوا أصحاب الأيكة)^(٣) .

ويضاف لما كان عندهم من الشرك أن نبيهم شعيباً -عليه السلام- قد حاول إصلاح ما عندهم من ظلم للناس ، حيث كانوا يفسدون في الأرض ويعتدون على أموال الآخرين بالغش أو السرقة أو قطع الطريق

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/ ١٨٤ .

(٢) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء ص ١٨٥ ، ومحمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن في بلاد العرب ص ٣٠١ .

(٣) الطبري، تاريخه، ج١/ ١٦٨ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/ ١٨٧ ، الشوكاني، فتح القدير، ج٢/ ٥٢٠ .

على تجارهم ونهب أموالهم بوسائل مختلفة ، فقد كانت بلادهم طريقاً يعبر منه التجار إلى مختلف المناطق الأخرى^(١) ، ولذلك فقد جاهد نبيهم في إصلاح ما عندهم من جرائم مختلفة كان أولها الجريمة والظلم في حق الله بالشرك معه ، ثم ظلم الناس في أموالهم وفي أنفسهم ، وكان - عليه السلام - جاداً في إصلاحهم ، يقول الله سبحانه وتعالى عنهم : إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى (الشعراء) .

وبدلاً من الاستجابة له - مع هذا النصح - هددوه شخصياً ومن آمن معه بالطرد من بلادهم وحرمانهم من بيوتهم وأموالهم ، كما هددوه - عليه السلام - بالرجم^(٢) ، وهذا يعني القتل وهي جريمة توجه لشعيب نظير إصلاحه - عليه السلام - ، لقد كان شعيب يؤكد لهم باستمرار وجوب الالتزام بحق الله سبحانه وتعالى ومراعاة حقوق الناس ، كما أكد لهم أنه شخصياً سيلتزم بما يدعوا الناس إليه من الإصلاح ، وقد قص الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ما جرى بين شعيب وقومه حول هذه الأحداث ، يقول تعالى :

(١) الخليسي ، المنهج الإقتصادي في المكايل والموازين لنبي الله شعيب ، ص ٢٣ .

(٢) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ / ١٨٤ .

وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (الأعراف) .

يوسف - عليه السلام - :

تعد قصة يوسف - عليه السلام - من أعجب القصص وأكثرها تفصيلاً في القرآن الكريم، كما تعد مراحلها من أكثر المراحل وضوحاً وقراءة ماورد في سورة يوسف يغني عن التفسير^(١) .

(١) انظر: عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء ص ١٧٩، سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤/ ١٩٥٠، الثعلبي، قصص الأنبياء، ١١١ .

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليه السلام- وقد كان ليعقوب -عليه السلام- اثنا عشر ولداً ، كان ترتيب يوسف بينهم الحادي عشر^(١) ، إلا أنه كان أحبهم لأبيه ؛ لما اتصف به من خلق حسن وسرعة استجابة لأبيه ، بالإضافة لجماله^(٢) وخفة نفسه وورعه وتقواه منذ الصغر^(٣) وقد كان يعقوب -عليه السلام- عاجزاً عن إخفاء مشاعره تجاه يوسف مما جعله يخشى على يوسف من إخوته : إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (يوسف) .

وقد كان إخوته يغارون منه ويحسدونه رغم صلاحهم ، وبالتالي ظهر بينهم دافع للجريمة والاعتداء على يوسف وهو الحسد ، ومن الملاحظ أن الحسد يوجد بين الأخيار كما يوجد بين الأشرار وهو وإن كان صفة ذميمة إلا أن وقوعها في قلب الإنسان وارد مهما كان خيراً ، كما أنه من خلال الأحداث والعلاقة بين يوسف وإخوته يعد الحسد دافعاً للجريمة ، رغم صلاح إخوة يوسف وتبئيتهم للتوبة بعد الجريمة ، يقول تعالى :

= وردت قصة يوسف في أسفار العهد القديم ، وبسبب تحريف أسفارهم فإن القصة جاءت فيها مختلفة في الجوهر عما ورد في القرآن الكريم ، انظر سفر التكوين الإصحاح ٥٠-٣٩ ، وانظر : مهران دراسات تاريخية في القرآن الكريم ، ص ٧١ .

(١) انظر : الطبري ، ح ١ / ١٧٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ / ١٩٧ .

(٢) الطبري ، تاريخه ، ج ١ / ١٦٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ / ١٣٧ .

(٣) صيغت قصة يوسف وما جرى فيها شغراً في دواوين مختلفة قديمة وحديثة منها ما كتبه الحمزة دعبس في ملحمة شعرية بعنوان (أكرم الناس) .

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
إِلَى آبَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَوْاطِرْ حُوهُ أَرْضًا
يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (يوسف).

لقد تأمر إخوة يوسف - عليه السلام - عليه وعقدوا اجتماعاً
خاصاً بينهم ليتآمروا عليه وليخططوا للتخلص منه ، إلا أن أحدهم كان
أقل جريمة من الآخرين وأرحم بيوسف منهم فاقترح عليهم ما ورد في
قوله تعالى : قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ
السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) (يوسف) .

وأخذوا يرتبون للجريمة مقدماتها ، حيث كان يعقوب - عليه
السلام - حريصاً على أمن يوسف وسلامته ؛ ولا يخرج مع أخوته ؛
لخوفه عليه منهم ، لما يراه من حسدهم له وإمكانية اعتدائهم عليه^(١)
وبالتالي فقد بدءوا التنفيذ المباشر للجريمة بإقناع يعقوب - عليه السلام -
بالسماع ليوسف بالذهاب معهم ، وبدءوا بعملية الإقناع بهجوم أدبي
على يعقوب - عليه السلام - حتى يقف موقف المدافع ، يقول تعالى :

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا
يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (يوسف) .

لم يرغب يعقوب - عليه السلام - أن يظهر خوفه على يوسف
منهم ، لكنه أرجع خوفه على يوسف من الذئب ، وقد لقنهم عذراً ربما
لم يفكروا فيه ، ولذا لجأوا إليه بسرعة وهو الذئب ، وهذا يعني أمراً

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٧١ .

خارجاً عن إرادتهم ، وفي المقابل حاول يعقوب-عليه السلام- أن يظهر الأمن من جانبهم ، يقول تعالى قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لُخَسِرُونَ (١٤) (يوسف) .

لقد انفرد إخوة يوسف بالضحية وتهيات لهم كل الظروف لإتمام الجريمة^(١) ، لكن الله سبحانه وتعالى طمأنه وثبته في هذا الموقف العصيب مع تعرضه للأذى والإهانة قبل إلقائه في الجب (البئر)^(٢) يقول تعالى :

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) (يوسف) .

أتم أولئك جريمتهم وخطأهم وبدءوا بمحاولة تبرئة أنفسهم والتظاهر بالبراءة، وصنع الأدلة المختلفة المزورة للفرار من المسؤولية والصاق التهمة بالذئب وتعمية الحقيقة على المتابع للجريمة وهو يعقوب-عليه السلام- يقول تعالى :

وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (يوسف) .

(١) الطبري، تاريخه، ج١/١٧١، الثعلبي، قصص الأنبياء، ١١٧، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٣٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٠١ .

(٢) الطبري، تاريخه، ج١/١٧١، انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١/٢٠٠ .

لقد أخذ يوسف من البئر من قبل إحدى القوافل ، واشتراه عزيز مصر^(١) (كبير الوزراء) ، ويقول تعالى :

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (يوسف) .

عاش يوسف في بيت العزيز وكان شخصاً محبوباً مخلوقاً خفيف النفس جميل المِحيّا ، وبالتالي كان كل من يراه في بيت العزيز يعجب به أيما إعجاب ، وأبتلي يوسف بإعجاب زائد من امرأة العزيز التي عشقته وهامت به^(٢) ، وبالتالي أصبح يوسف -عليه السلام- هدفاً لجرّيمة أخرى ، لكن دوافعها في هذه المرة عكس دوافع الجريمة الأولى ، فالأولى دافعها الكُره ، أما هذه الجريمة فدافعها الحب الشديد الذي وصل لحد العشق والغرام ، مما دفعها لمحاولة إغرائه بالوقوع في الزنا وخيانة الله سبحانه وتعالى وخيانة عرض صاحب البيت الذي استأمنه على أهله ، يقول تعالى :

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٧٣ ، الشعلي، قصص الأنبياء، ص ١١٩ ، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٤١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢٠٢ ، مهرا، دراسات تاريخية في القرآن الكريم .

(٢) انظر : حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء ص ٤٤ .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الْيَاسْمِينُ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) (يوسف) .

لقد فر منها يوسف رافضاً الفاحشة رغم كل المغريات فهي امرأة جميلة أظهرت مفاتيحها وخلت به وراء الأبواب المغلقة وأياسته من الفرار منها ، ومع ذلك كان فاراً بدينه وتقواه ، يقول تعالى :

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) (يوسف) .

لقد كانت المفاجأة حيث صاحب الدار عند الباب وشاهد المطاردة والسباق على الباب^(١) ، ولم يكن المشهد كاملاً والرؤية واضحة بالنسبة له ، ولذلك كانت فرصة الجريمة بأن تلقي بالجريمة على البريء وتبرئ نفسها ، لكن يوسف دافع عن نفسه ، يقول تعالى :

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي مِنَ الْآيَةِ (يوسف) .

لقد جاء كلام الشاهد ليذكر صاحب البيت وهو القاضي في هذا الموقف بالبيانات في التحقيق :

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/١٧٣ ، الشعلي، قصص الأنبياء، ص ١٢١ ، ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٤٢ ، بن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٠٣ ، أبو الفداء، المختصر، ج ١/٣٥ .

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ
من الآية ، وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (يوسف) ،
وقد جاء الحكم على المجرم بعد اتضاح القرينة وتفحص القميص ،
حيث تبين أن المرأة هي التي اعتدت على يوسف وأنه بريء من التهم
رغم تظاهر امرأة العزيز بأنها ضحية ، يقول تعالى :
فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ
(٢٨) (يوسف) .

ويؤخذ من هذا أن القرائن يؤخذ بها عند الاشتباه في الدعاوى^(١) .

كما جاء الطلب من العزيز موجهاً إلى يوسف بأن لا يتحدث بهذا
الموضوع وأن يعرض عنه وأن تحس امرأة العزيز بذنبها وتذكر خطأها
وتستغفر ، يقول تعالى :

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (يوسف) .

لقد ظهرت براءة يوسف -عليه السلام- واتضح الأمر إلا أن
امرأة العزيز كانت تحت دوافع قوية من العشق والحب ليوسف ، ولما
تعرفه من صفاته الجمالية فإنها ما إن سمعت بحديث النساء عنه حتى
أرادت أن تتعرض تلك النسوة لما تعرضت له من عشق وحب أعمائها
عن كل شيء ، حتى تسوّغ سلوكها وافتتانها بيوسف واعتدائها عليه ،
وبالتالي حاولت إغواء النساء بالوقوع معها في إيذاء يوسف وفي الدافع

(١) عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٨٧ .

الذي دفعها للاعتداء عليه ومحاولة إغواء يوسف عليه السلام والضغط عليه ، وبالتالي تحقق تسويغ موقفها وتغيير من الموقف ، وبدلاً من أن يكون يوسف مستهدفاً من امرأة واحدة أصبح مستهدفاً من مجموعة من النساء^(١) وضحية متوقعة لهذه المجموعة ، يقول تعالى :

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكاً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمَرُهُ لَيُصْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) (يوسف) ، لقد كانت تهدد يوسف عليه السلام ، ولذلك كان أمام شرين : إما الوقوع في الجريمة والفاحشة ، وإما السجن ظلماً ولذلك فقد اختار -عليه السلام- السجن على الجريمة والفاحشة ، حيث كان مهدداً بمجتمع فيه خصوم كثيرة من النساء المغريات بالغواية الداعيات له ، يقول تعالى :

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (يوسف) ، لقد اتضح براءة يوسف عليه السلام ورأى العزيز وغيره من الآيات والعلامات ما يؤكد لهم أنه ضحية ، لكنهم حكموا عليه بالسجن ظلماً ، يقول تعالى :

(١) الطبري، تاريخه، ج١/١٧٥ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٤٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٠٥ .

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥) (يوسف) .

لقد كانت حياة يوسف في السجن مليئة بالأحداث ذات الصلة بقضايا أمنية ، فقد كان معه بعض المجرمين وبعض المتهمين الذين لم تصدر أحكام في قضاياهم بعد ، وكل واحد منهم يتوقع حكماً معيناً بالقتل أو الإفراج ، وكان من بين المسجونين معه متهمان من حاشية ملك مصر في تلك الفترة^(١) ، انشغلت أذهانهما فيما سيصدر عليهما من حكم ، حيث لم يتم البت في قضيتيهما بعد ، ويتحدث القرآن عن هؤلاء في قوله تعالى :

وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (يوسف) .

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٧٦ ، الشعلي، قصص الأنبياء، ص ١٢٦ ، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٤٤ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢٠٦ ، حسن دوح ، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٤٦ .

لقد كان يوسف يحس بالظلم وأنه سجن رغم براءته ولذلك حاول أن يوسط الذي توقع أن يُحْكَمَ له بالبراءة ، وسيعود للعمل في خدمة الملك ، ليحدث الملك عن مظلمة يوسف عليه السلام^(١) لعله أن يعاد النظر في قضيته ، لتتضح براءته وتطلق حريته ويخرج من سجنه يقول تعالى :

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (يوسف) لقد كان السجن صعباً على يوسف عليه السلام ولذلك فقد أشار النبي ﷺ لهذه الصعوبة في قوله : " إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : وَكَوَلَبْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جَاءَنِي الرَّسُولُ أُجِبْتُ ثُمَّ قَرَأَ : فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ " ^(٢) .

لقد حدثت قصة ذكرت صاحب يوسف في السجن بيوسف عليه السلام - لوجود حاجة إليه تمثلت في رؤيا الملك التي لم يتمكن أتباعه من تفسيرها وكان صاحب يوسف على اقتناع بقدرة يوسف على تفسيرها^(٣) ، يقول تعالى :

(١) الطبري، تاريخه، ج١/٢٠٧ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٤٥ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٠٧ .

(٢) الترمذي، سننه، كتاب التفسير، يوسف؟؟ .

(٣) الطبري، تاريخه، ج١/١٧٦ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٤٥ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٠٨ .

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) (يوسف) .

ورغم أن يوسف - عليه السلام - سجن ظلماً وأوذي واتهم زوراً إلا أنه كان على استعداد للعطاء وللنصح في وقت أوذي فيه وسجن ، حيث فسر لهم الرؤيا وهي مرتبطة بالمستقبل ، وفي الوقت نفسه أعطاهم إرشادات إدارية للتغلب على المشكلات القادمة المتوقعة ، يقول تعالى :

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (يوسف) .

لقد أحس الملك أن تفسير يوسف تفسير صادق وأنه رغم كونه في السجن بادر بالمساعدة وتقديم النصح رغم ما تعرض له من أذى ؛ مما دفع الملك للإعجاب به ولم يره بعد ، فدعا لإحضار يوسف من السجن والعفو عنه ، لكن يوسف كان حريصاً على إظهار براءته وأن لا يكون خروجه دون رد اعتباره وإيضاح موقف النساء اللاتي اتهمنه ، يقول تعالى :

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ
النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) (يوسف) .

وقد دفع هذا الموقف ملك مصر إلى مزيد من الإعجاب بيوسف ،
وبالتالي دعا النساء ذوات العلاقة بقضية يوسف - عليه السلام -
للمثول بين يديه وأعاد بنف ، سه النظر في القضية ، وطرح على النساء
أسئلة جاءت الإجابة عليها لصالح يوسف وقضيته التي أعيد النظر فيها
بعد بضع سنين ، حيث جاء اعتراف جماعي من النساء المتآمرات على
يوسف بالإضافة للاعتراف الخاص من امرأة العزيز وهي المذنبه الأولى
في الجريمة الأولى وفيما تبعها من مؤامرات النساء^(١) ، كما ورد في قوله
تعالى : قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ
سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ
(٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبْرِي
نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣) (يوسف) .

لقد اتضحت براءة يوسف أمام الملك وحاشيته وعلم الناس بهذه
البراءة وزاد إعجاب الملك بيوسف ومكن الله له ليصبح من كبار
موظفي الدولة ومن يقيمون العدل فيها :

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ
أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (يوسف) .

(١) الطبري، تاريخه، ج١/١٧٨ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٤٦ ، ابن كثير،
البداية والنهاية، ج١/٢٠٩ .

وهكذا مكن الله ليوسف المظلوم وأعزه الله بعد ذله ومكن له في أرض مصر بعد أن كان رقيقاً يباع ويشترى وسجيناً محبوساً ، يقول تعالى :

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) (يوسف) .

لقد حدثت المجاعة المتوقعة في مصر وما حولها وامتدت آثارها لتشمل البوادي القريبة منها وخصوصاً بادية فلسطين في المنطقة الغربية في نواحي صحراء النقب الأقرب منها إلى مصر وهي المناطق التي كان يقيم فيها يعقوب وأبناءؤه^(١) ، وكان لابد لهم من الريف ومناطق الزراعة حيث كانوا يعيشون في البدو ، وبالتالي شاء الله أن يأتي بإخوة يوسف الذين سبق أن اعتدوا عليه وأذوه ليكونوا في حاجته ، حيث كان في موقع المسؤولية عن أمور كثيرة في مصر في مقدمتها التموين والطعام وما يتصل به من توزيع أو بيع ، ويظهر أن من عادة يوسف أن يتلثم لشدة جماله وحسنه ، وبالتالي كان كثير ممن يراه لا يعرفه ، وهذا ما حصل لإخوة يوسف حينما قابلوه في مصر ، يقول تعالى :

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (يوسف) .

(١) لتحديد هذه المواقع انظر : الطبري ، تاريخه ، ج ١/ ١٧٩

ابن الأثر ، الكامل ج ١/ ١٥٥ ، مهرا ، دراسات تاريخية في القرآن (١) بلاد العرب ص ٨٠ ، كينيث كانتزر وآخرون ، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، ص ٩٥ .

ويظهر أن الطعام كان يصرف بعدد الأشخاص و، بالتالي فإن إخوته حدثوه بوجود أخيه الأصغر (بنيامين) وبالتالي وجدها فرصة مناسبة أن يطلب منهم إحضار أخيه الذي ذكروه وتحدثوا عنه، ولولا حديثهم عنه لما طلب منهم هذا، إذ لم يكونوا يعرفون هوية يوسف حين تلك المقابلة ولعل هذا من استغلاله -عليه السلام- للحديث الصادر من إخوته^(١)، وهذا أمر مهم في التحقيق وفي معرفة ما لدى الآخرين، واستغلال حديثهم لاستكمال معلومات أو جر أشخاص ليساعدوا في كشف بعض الأمور، يقول تعالى وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنَرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) (يوسف) .

ولقد حاول يوسف أن يعطي إخوته شيئاً من الأمان والاطمئنان ليغريهم بالقدوم مرة أخرى وبإحضار أخيه معهم ليعرف أخبار أبيه وأهله، وبالتالي أعاد نقودهم التي جاءوا بها^(٢)، يقول تعالى: وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (يوسف) .

(١) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ١ / ١٤٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١ / ٢١١ .

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١ / ١٧٩ .

لقد نجحت محاولة يوسف لإعادة إخوته لمصر مرة أخرى ولإحضار أخيه الشقيق معهم . فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) (يوسف) ، لقد كان الخوف يراود يعقوب على ابنه الصغير^(١) ، وحينها تذكر ما حدث لابنه يوسف وعلاقة بقية الأبناء باختفائه وبالتالي لم يأمن على الصغير منهم ، يقول تعالى : قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) (يوسف) .

لقد حاول يعقوب منع أبنائه من ارتكاب الجريمة في حق أخيه الأصغر ، وبالتالي أخذ عليهم العهود والمواثيق^(٢) ، في محاولة منه لتحريك الوازع الديني لمنع وقوع الجريمة ، وهذا الوازع من أهم موانع الجريمة ، يقول تعالى : قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (يوسف) .

لقد كان من الواضح حرص يعقوب على أبنائه كافةً ، وبالتالي حاول أن يوصيهم بما يرى فيه نفعاً لهم ، وفي هذا تذكير لهم بمحبة أبيهم لهم وأنه وإن كان حريصاً على الصغير وخائفاً عليه فإنه في

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢١٣ .

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٨٠ ، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٨٠ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢١٢ .

الوقت نفسه حريص عليهم جميعاً، وعلى ما ينفعهم، فهو يخشى عليهم من الحسد، كما أنه يخشى عليهم من التجنيد أو العبودية، وفي تحريك هذا الشعور عند أبنائه تحريك لعوامل مختلفة تساعد في منع الجريمة التي كان يخشى وقوعها على الصغير، يقول تعالى: وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمُّهُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) (يوسف).

لقد كان الأخ الأصغر ليوسف بريئاً، ولذلك حاول أن ينفرد به على حدة ليكون عوناً له، وليعرف منه أخبار أهله وليكون آمناً من الأذى الذي قد يصيبه من الآخرين يقول تعالى وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) (يوسف).

ومنذ أن خلا يوسف بأخيه (بنيامين) خطط معه لإبقائه معه وعزله عن بقية الإخوة بحيلة تنطلي عليهم، ولا يكون فيها ضرر على الأخ الأصغر، بترتيب مسبق مع يوسف على ما يظهر من القصة، يقول تعالى: فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنُ مُؤَدِّنُ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَقْدُ صُرَاغِ الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (يوسف).

لقد كان هناك تحديد واضح بتطبيق عقوبة في حق السارق لأدوات

خاصة بالدولة ، وهو ما عبروا عنه بصواع الملك ، والمتهمون هم إخوة يوسف ، ولذلك استوثق منهم الموظفون في العقوبة التي ستقع على السارق إن كان منهم ، فأجابوا بما يفيد استحقاق المخطئ بالسرقة للعقوبة قال تعالى قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) (يوسف) .

لقد كان المفتشون على علم بوجود الصاع في متاع الابن الأصغر ، كما كان هو نفسه يعلم ذلك لكن المفتشين أرادوا أن يكون الأمر طبيعياً حتى لا يشعر الإخوة بذلك ، فكان التفتيش في البداية بعيداً عن الموضوع الحقيقي ، يقول الله تعالى فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) (يوسف) .

لقد سارع الإخوة باتهام أخيههم رغم براءته ، ورغم أنها حركة قام بها يوسف على علم من أخيه بنيامين ، وفي هذا مؤشر على سرعة اتهام الآخرين عند بعض من يقعون في الخطأ ، وهم لم يؤكدوا تهمة بنيامين فقط بل تجاوزوا ذلك إلى يوسف عليه السلام- مع أنه هو المظلوم على أيديهم وهم أعلم الناس بذلك ، وسمع يوسف ما يمسسه شخصياً وهو في موضع الحكم والقدرة عليهم ، ومع ذلك فقد كتم غيظه ولم يتصرف معهم بما يكشف هويته ، قال تعالى قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (يوسف) .

لقد حاول إخوة يوسف أن يقع الحجز والعقوبة على أحدهم بدلاً

من أخيه^(١) ، حيث كان أبوه قد أخذ عليهم الموائيق أن يأتوا بأخيه^(٢) ، ولم يكن هذا لائقاً ولا مقبولاً في أي نظام جنائي عبر التاريخ ، فالمتهم أو المخطئ في حال وجوده هو المسؤول عما يتصل بجريمته ولا يقع ما يتبعها من تحقيق أو عقوبة على غيره قال تعالى قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) (يوسف) .

لقد كان يوسف - عليه السلام - دقيقاً في رده عليهم حيث لم يؤكد وقوع السرقة من أخيه ، بل عرض بذلك وفي كلامه ما يقنع إخوته دون أن يكذب^(٣) ، يقول تعالى: قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدهُ إِذَا لَظَلْمُونَ (يوسف) .

لقد تحرك في نفس الأكبر من الإخوة وازع الخير وتذكر الموائيق التي أعطوها لأبيهم^(٣) ، وما ينبغي أن تكون حالهم عليه في فقد أخيه^(٢) ، وبدأ يذكرهم بفعلهم السابق مع يوسف - عليه السلام - ويأمرهم أن يكونوا دقيقين في الشهادة ضد أخيه^(٢) الأصغر حيث إنهم لم يروه يسرق وإنما علموا ذلك من خلال ما جرى من أحداث قد يكون الأخ بريئاً فيها ، كما أوضح من خلال حديثه معهم أنهم في

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٨٣ ، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٥١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢١٤ .

(٢) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٣٣ ، عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٩٣ .

(٣) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٨٢ ، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٥١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢١٤ .

القضية الأولى فرطوا ولم يكونوا معذورين وأنهم في هذه القضية قد يكونون معذورين لكن من الصعب الوثوق بحديثهم؛ لأنهم سبق لهم الكذب، ولذلك يريد منهم أن يدعوا الأب ليسأل الآخرين، يقول تعالى: فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) (يوسف) .

لقد كان الواقع صعباً على يعقوب -عليه السلام- حيث فقد ابنه الأول يوسف -عليه السلام- وهاهو ذا يفقد الابن الثاني بنيامين^(١) ولذلك فإنه اتهم الأبناء مع براءتهم لأن لهم سابقة، يقول تعالى: قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبِیْضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) (يوسف) .

ثم إن يعقوب -عليه السلام- أمر أبنائه بمتابعة قضية أخيهم بنيامين^(٢) يقول تعالى يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٨٣، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٥٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢١٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٨٤، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٥٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢١٥.

إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (يوسف) .

وحدث لقاء جديد هو الثالث بين يوسف وإخوته وكانوا لا يعرفونه في بداية اللقاء لكنه كان يعرفهم ، وهكذا قد ينسى الجاني لكن المجني عليه لا ينسى مهما بعد الزمن ، ولقد نصر الله يوسف عليهم فجاءوا وهم بحاجته وهو غني عنهم ، كان يستطيع أن يفعل بهم ما يشاء بحكم قوته ومنصبه لكنه كان بهم رحيماً رغم قسوتهم عليه ، وكانت الظروف مواتية ليكشف لهم هويته حتى يتعلموا درساً مهماً وهو أن الله ينصر المظلوم ويؤثره على ظالمه ، يقول تعالى : فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَأَنْتَ لَأَنْتَ يُونُسُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) (يوسف) .

لقد أقر الإخوة في هذا الموقف بخطئهم ورأوا بأنفسهم كيف كانت العقابة له ، أعزه الله واحتاجوا إليه^(١) ، ومع حاجتهم إليه وقدرته على الانتقام منهم إلا أنه قابل ذلك بالعفو والمغفرة والدعاء ، يقول تعالى : قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (يوسف) .

(١) الطبري ، تاريخه ، ج ١ / ١٨٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ / ١٥٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ / ٢١٦ .

ثم إن يوسف -عليه السلام- أرسلهم بعلاج لأبيه وطلب منهم أن يحضروه مع أهلهم إلى مصر، ويظهر أن هناك أنظمة لإقامة الأجانب في الدولة المصرية في تلك الفترة ، ولذلك فإن يوسف أعد لهم ما يلزم من إجراءات لدخولهم مصر آمنين^(١) يقول تعالى: اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرَ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) (يوسف).

لقد أدرك الإخوة خطأهم وتابوا إلى الله وطلبوا من أبيهم العفو عنهم^(٢) ، وأحسوا بحاجتهم إلى الدعاء والاستغفار ، يقول تعالى: قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (يوسف) .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي : " إن أولاد يعقوب -عليه السلام- جرى منهم ما جرى في أول الأمر من الجرائم المتنوعة ، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح والاعتراف التام والعفو التام عنهم من يوسف ومن أبيهم ، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة ، وإذا سمح العبد بحقه فالله أولى بذلك وهو خير الراحمين الغافرين ، ولهذا في أصح

(١) محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن ص ١٥٤ .

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٨٦، ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ١٥٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢١٦ .

الأقوال أن الله جعلهم أنبياء لمحو ما سبق منهم وكأنه ما كان،
ولقوله : وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (آل
عمران) وهم أولاد يعقوب الإثنا عشر وذريتهم^(١) .

لقد كان يوسف شاكرًا لله حيث إنه ذكر فضل الله عليه بالخروج
من البلاء الذي وقع فيه ، وهذا نعمة من الله ، ولم يذكر البلاء إلا في
عرض الحمد للنجاة منه بفضل الله ، يقول تعالى : وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ
وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ
أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي
لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) (يوسف) .

لقد كان يوسف في أعلى المناصب الإدارية والمالية آمناً في
نفسه^(٢) ، لكنه كان ذاكرًا لله متقياً له يرجو ما عنده يوم القيامة ، ويدرك
أن الدنيا ومناصبها وأموالها قصيرة ، ولا ينبغي أن يتعلق بها مهما كانت
الظروف ، وأن ما يعيشه الإنسان من بلاء ونعمة يحتاج إلى صبر وشكر
وأنه ينبغي أن ينظر إلى منازل الآخرة الناعمة الدائمة ، وبالتالي يتصرف
في الدنيا على خشية من الله ومما أعد من حساب يوم القيامة ، وهذا
درس لكل من تولى مناصب عالية وآتاه الله من فضله ، يقول تعالى
رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (يوسف) .

(١) عبد الرحمن السعدي ، قصص الأنبياء ، ص ١٨٤ .

(٢) الطبري ، تاريخه ، ج ١ / ١٨٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ / ٢١٧ .

لقد كانت هذه القصة بتمامها وحياء أوحاه الله سبحانه وتعالى لنبيه -ﷺ- وفيها من الدروس العظيمة في مختلف مجالات الحياة البشرية ما يصعب حصره، ومهما قال المفسرون عن القصة فما في كتاب الله عنها أبلغ من شرحهم وإيضاحهم، ومن أهم ما تعالجه - كما اتضح لنا - المكر بالآخرين والاعتداء عليهم، كما تبين أن الحسد يقع بين النفوس ويفسد بين الإخوة، وهم من أقرب الناس، وهذا ما تعرض له يوسف -عليه السلام- لقد كانت درساً لنبينا محمد ﷺ وللأمة من بعده إلى يوم القيامة وللمتعرض لقضايا الأمن في حياة الناس وأفراد الأمة يقول تعالى ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (يوسف) .

موسى -عليه السلام- :

عاش بنو إسرائيل في مصر منذ رحيل يعقوب -عليه السلام- مع أبنائه إلى مصر بعد تمكن يوسف فيها وتسمنه أعلى المناصب^(١)، ومنذ أيام فرعون مصر رمسيس الثاني، وابنه الفرعون المسمى (منفتاح)^(٢)، من الأسرة التاسعة عشرة، التي حكمت في الفترة من ١٢٥٠-١٣٥٠ ق.م^(٣)، وبنو إسرائيل يتعرضون للمضايقة والتعذيب، على يد فرعون مصر وجنده وقد وصف الله حالهم في قوله : نَتَلَوُ عَلَيكَ

(١) ليعقوبي، تاريخه، ج١/٣٣، محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص٤٥.

(٢) انظر التفاصيل عند: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء ص٢٤٠، والذي يرى أن زمنهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وعبد الغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص٧٦.

(٣) دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٦٥.

مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) (القصص) .

وقد اتخذ هذا الطاغية قراراً بقتل المواليد من بني إسرائيل في مصر وخصوصاً الرجال منهم، كما قرر استحياء النساء واسترقاقهن وجعلهن خدماً لهم^(١) ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور ، وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً ، فذكروا أن هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء ، وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم فضاقت أمه به ذرعاً واحترزت من أول ما حبلت ، ولم يكن يظهر عليها مخائل الحبل ، فلما وضعت ألهمت أن اتخذت له تابوتاً فربطته في حبل ، وكانت دارها متاخمة للنيل ، فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت فأرسلته في النهر وأمسكت طرف الحبل عندها فإذا ذهبوا استرجعته إليها^(٢) ، قال الله تعالى : وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

(١) العهد القديم، سفر الخروج الثاني، الإصحاح ٨-١٦ ، البعقوبي، تاريخه، ج٣٣/١، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٧٠، الطبري، تاريخه، ج١٩٩/١، دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٦٦، عبد الغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص٦٨، محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص٢٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢٣٩/١، محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص٢١٤، حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص٥٦.

الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) (القصص) ، ولقد أراد الله أن يظهر قدرته ويبين ضعف كيد فرعون مهما كان دقيقاً إذا كان مبنياً على الظلم والكفر بالله ، فأراد الله أن ينشأ موسى ويتربّع في بيت فرعون رغم الإجراءات الأمنية المشددة الظالمة التي كان يتخذها خوفاً من وجود موسى ، فجعل الله موسى بين يديه وفي بيته آمناً مطمئناً ، يقول الله تعالى : فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) (القصص) ، وجعل الله القسوة في قلب فرعون ، والرحمة في قلب امرأته وهي مؤمنة صالحة يقول تعالى : وَقَالَتْ امْرِأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) (القصص) ، وثبت الله أم موسى بعد أن كادت تكشف سرها^(١) ، ويُقتل ولدها ظلماً من فرعون لولا رحمة الله بها ، يقول تعالى وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) (القصص) ، وشاء الله أن ترضع أم موسى ولدها ويدفع فرعون أجر الرضاعة لأم عدوه نظير إرضاعها لعدوه ابنها - يقول تعالى : وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَمْنَا

(١) الطبري، تاريخه، ج١/٢٠١ ، الشعلي، قصص الأنبياء، ١٧٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٤٠ ، محمد عبد السلام ، بنو إسرائيل في القرآن، ص ٢١٥ ، وانظر : كينيث كانتزر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، ص ١٣٢ .

وقد وردت قصة ولادة موسى في سفر الخروج (٢) إلا أنها نالها التحريف وتختلف تماماً عن ما ورد في القرآن الكريم .

عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) (القصص) ، وعاش موسى في بيت فرعون يتعلم أمور الدنيا ومنطقها ، وحفظ الله له دينه على ملة آبائه إبراهيم ويعقوب ، وآتاه الله العلم والحكمة يقول تعالى : وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) (القصص) ، وحين شب موسى كان قوياً شجاعاً يهابه الشباب في أيامه ويستعينون به لقوته ، وقد وقع خطأ قتل غير عمد من موسى لأحد المصريين ، ومع ارتكاب موسى لهذا الخطأ فقد كان نادماً عليه تائباً لله تعالى غير متعمد للقتل أصلاً ، وقد وردت قصته هذه في قوله تعالى : وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) (القصص) لقد كان واضحاً كراهية موسى للقتل وبغضه للمجرمين ابتداءً ومبادرته للتوبة مما وقع منه ، ولذلك فقد تعهد بعدم مساعدة المجرمين على إجرامهم ، يقول تعالى قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (القصص) . ولا شك أن المدينة المصرية التي قتل فيها موسى كان فيها أجهزة للأمن تبحث عن القاتل ، كما أن جماعة القتل يبحثون عن قاتل صاحبهم ليعاقبوه ، ويظهر أن الحادثة لم يطلع عليها إلا صاحب موسى الذي استغاثه ؛ ولذلك خفي أمرها على الأجهزة الأمنية وعلى جماعة القتل ، ومع ذلك فكان البحث جارياً عن

القاتل^(١) ؛ مما جعل موسى يعيش في خوف من القبض عليه ، يقول تعالى : فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ^(١٨) (القصص) لقد كان المحرض لموسى على خطأ الأمس مستمراً في خطئه ، فها هو ذا يحرضه مرة أخرى على جريمة جديدة كاد يقع فيها موسى ، فتحدث إليه الضحية وكان يتوسم الخير في موسى فحرك فيه نوازع الخير ، فكف عنه ، يقول تعالى : فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلِحِينَ^(١٩) (القصص) .

لقد كانت متابعات الجريمة مستمرة وأخذت أصابع الاتهام تشير إلى موسى في حادثة قتل الأمس ، وبدأ السؤال والتحري عن موسى وأحس أصحابه بالخطر عليه ، فأنذروه ، يقول تعالى : وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (القصص) فاضطر موسى للهروب من المدينة المصرية ، بل إنه حاول التوجه إلى أقرب حدود للدولة ليخرج من سلطانها تماماً إلى أرض لا تكون للدولة المصرية الفرعونية وسلطاتها أي أمر عليها ، وبالتالي كانت الأطراف الشمالية الغربية للجزيرة العربية - حيث بلاد

(١) البيهقي ، تاريخه ، ج ١ / ٣٤ ، الطبري ، تاريخه ، ج ١ / ٢٠٣ ، الثعلبي ، قصص الأنبياء ، ص ١٧٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ / ١٧٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ / ٢٤٢ ، محمد عبد السلام ، بنو إسرائيل في القرآن الكريم ، ص ٢١٦ ، حسن دوح ، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء ، ص ٥٩ .

مدين^(١) - هي أقرب الأماكن إليه ، فعبر إليها مروراً بسيناء حتى وصل تلك الأرض البعيدة عن السلطة الفرعونية في مصر ، يقول تعالى :
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) (القصص) لقد كان موسى رحيمًا يحب الخير ومساعدة الآخرين دون مقابل ساعياً لرضا الله خادماً للضعفاء ، ف وقعت له حادثة مع نساء ضعيفات شعر بحاجتهن إلى المساعدة فلم يتردد في ذلك ، يقول تعالى : وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) (القصص) لقد كان موسى متعلقاً بالله تائباً إليه رغم وقوعه في الخطأ ، وقد حرص على البعد عن أراضي فرعون ليأمن من سطوته ، كما أن بعده عن موقع الخطأ يعينه على صدق التوبة ، وحينما قابل والد البنتين طمأنه إلى نجاته وبعده عن سلطة فرعون الظالم^(٢) ، وأنه أصبح في أرض لا تمتد سلطته إليها أو خارج حدود دولته ، يقول تعالى : فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (القصص) .

(١) الطبري، تاريخه، ج١/٢٠٥ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٤٤ ، وانظر : ص من هذا البحث لمعرفة موقعها بالتحديد .

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/ ٢٤٤ .

تزوج موسى من إحدى بنات الشيخ وبقي في مدين عشر سنوات ثم أخذ أهله عائداً إلى مصر ، وفي الطريق كلمه الله سبحانه وتعالى عند جبل الطور ، وحمله الرسالة إلى فرعون وأشرك معه أخاه هارون في النبوة^(١) ، وهذه أول مرة يطلب فيها نبي أن يشاركه أحد في النبوة ويستجيب الله تعالى لهذا الأمر ، ومع هذا فإن موسى كان يخشى من الذنب الذي وقع منه في ديار مصر ، وقد أشارت الآيات القرآنية لذلك في قوله تعالى : **وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون (١٤) قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَآتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (الشعراء) .**

وفي قوله تعالى : **قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (القصص) .**

وبعد أن وصل موسى لمصر ودخل على فرعون للقاءه بعد انتظار طويل استمر أشهراً^(٢) كان فرعون خلاله يعد المعلومات عن موسى قبل لقاءه ، ولا شك أن هناك أجهزة معينة كانت تساعد في ذلك مما يدل

(١) وردت تفاصيل ذلك في مواضع مختلفة من القرآن الكريم منها، ما ورد في سورة طه، والقصص، والشعراء، والنمل .

وانظر: الطبري، تاريخه، ج١/٢٠٦-٢٠٩ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٧٧ - ١٨٠ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٤٢ - ٢٤٩ .

(٢) الطبري، تاريخه، ج١/٢٠٩ ، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٨٦ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٨١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٥٣ .

على قدم أجهزة المعلومات الأمنية ووجودها في العصور الفرعونية القديمة، ولذلك فعند اللقاء سأل فرعون موسى بعض الأسئلة^(١) التي يبين من خلالها معرفته به منذ الصغر ، يقول تعالى : قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (الشعراء) .

إن سؤال موسى عن حادثة القتل التي وقعت منه ليظهر به فرعون أمام قومه اهتمامه بهذه القضية ، ما كان حقيقياً وإنما من باب المجادلة والمحااجة ، فقد كان فرعون يقتل في بني إسرائيل حتى كاد يفني شعباً بأكمله ، وهو هنا يقف كثيراً عند حادثة قتل واحدة ارتكبت خطأ فأين الإنصاف ، لكنه أراد استعراض قدرة أجهزته الأمنية على البحث عن موسى وتاريخه ليخرج له صحيفة سوابق كما زعم فرعون ، وليكفر بالله ويقود الناس إلى عبادته هو شخصياً والعباد بالله ، كما قال تعالى : وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (القصص) .

وفي قوله تعالى : الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ

(١) الطبري، تاريخه، ج١/٢٠٨ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٨١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٥٠ .

فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأُظَنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا
كَدُّ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (غافر) .

لقد كان هدف فرعون التكبر وادعاء الألوهية والطغيان وإذلال
الناس ، وإلا فقد كان أعلم الناس بضعفه وأنه ليس إلهاً ، وهذه
القصص المرتبطة بحياة موسى عليه السلام تدل على معرفة شيء من
النظم الأمنية منذ القدم سواء أستفيد منها للظلم أو للعدل ، إلا أنها
موجودة وخصوصاً ما يتعلق بالمتابعة للجريمة والبحث عن مرتكبيها
والاحتفاظ بالمعلومات عنها للرجوع لها عند الحاجة ، وهذا ما يمكن
استنتاجه من ثنايا القصة وما يرتبط بها من حوادث.

كما أن من الملاحظ على قصة فرعون مع موسى -عليه السلام-
أن فرعون حاول الظهور أمام قومه أنه يريد الحفاظ على بلدهم وعلى
مصالحهم وعلى معتقداتهم التي هي عبادته من دون الله وأنه في سبيل
ذلك سيؤذي موسى ومن معه^(١) ، يقول الله سبحانه وتعالى عن ذلك :
وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ
سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (الأعراف) .

لقد كان فرعون رغم ادعائه بمتابعة الجريمة ، وتحقيقه مع موسى
عنها ، هو أكبر المجرمين القتلة ، حيث أصدر أمراً باستباحة دماء بني

(١) الطبري، تاريخه، ج١/ ٢١٢ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/ ١٨٥ ، ابن كثير،
البداية والنهاية، ج١/ ٢٥٥ .

إسرائيل والمؤمنين مع موسى من آل فرعون، يقول تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (غافر) .

لقد كان فرعون يظهر للقوم حرصه على أمنهم ووطنهم لكنه في الحقيقة يجرحهم إلى الهلاك والدمار ليؤلهوه من دون الله . لقد حشر فرعون كل قواته وكل طاقاته ليدعي الألوهية وليسخر تلك الطاقات للشرك وعبادته من دون الله^(١) ، فكانت نتيجة ذلك وبالأعلى عليه وعلى قومه الذين أطاعوه ، يقول تعالى: فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (النازعات) .

لقد كان فرعون أكبر القتلة المعتدين المجرمين فأغرقه الله وأنجى المستضعفين من بني إسرائيل. يقول تعالى: وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) (يونس) .

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١/ ٢١٣ .

ويقول تعالى: فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (الأعراف) .

إن العلاقة بين موسى عليه السلام وفرعون تتلخص في حرص موسى على إطلاق الحرية لبني إسرائيل ليهاجروا بعيداً عن طغيان فرعون وظلمه، فكان فرعون ينظر من زاوية أخرى يسوغ بها ظلمه لهؤلاء المستضعفين، ليجعلهم تحت سيطرته وظلمه، في وقت كان يدعي الربوبية، وهم موحدون أتباع لموسى عليه السلام.

لقد كانت العقوبة الحسنة للموحدين المؤمنين بالله من بني إسرائيل المتبعين لرسوله -عليه السلام- والهلاك لفرعون ومن سار معه في غوايته وظلمه للناس^(١) .

ومن الحوادث المهمة في حياة موسى قصة القتل التي حدثت في بني إسرائيل والتي شرحت في القرآن الكريم وسُميت باسمها أطول سور القرآن (البقرة)، والتي تحدثت آياتها عن تلك الحادثة التي أرجع معظم المفسرين تسميتها إلى ارتباطها بجريمة قتل في زمن موسى -عليه السلام- والآيات هي قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج١/٣٦، الطبري، تاريخه، ج١/٢١٤، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٠٣، ابن الأثير، الكامل، ج١/١٨٨.

وانظر عنوان (هلاك فرعون وجنوده) عند: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٦٨.

لَنَا رَبُّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيعَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (البقرة) .

أورد الطبري في تفسيره لهذه الآيات روايات منها أنه "كان في بني إسرائيل رجل عقيم أو عاقره قال : فقتله وليه ، ثم احتمله ، فألقاه في سبط غير سبطه . قال : فوقع بينهم فيه الشر ، حتى أخذوا السلاح . قال : فقال أولو النهى : أتقتلون وفيكم رسول الله ﷺ ؟! قال : فأتوا نبي الله ، فقال : اذبحوا بقرة! فقالوا : (أتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة) إلى قوله : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) قال : فضرب فأخبرهم بقاتله . قال : ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهباً . قال : ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم ، فلم يورث قاتل بعد ذلك (١) .

(١) الطبري، تفسيره، ج ١/٤٠١ - ٤٠٢ .

وانظر : عنوان (قصة بقرة بني إسرائيل) عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/ ٢٩٣ ، والشوكاني، فتح القدير، ج ١/ ٩٩ .

كما ورد من القصص المتعلقة بالأمن في حياة موسى - عليه السلام - بغي قارون عليه وهو من قومه واتهامه موسى بتهمة باطلة مكذوبة، ألا وهي جريمة الزنا في الوقت الذي كان موسى ينهى الناس عن ذلك، ومنها ما ورد في قوله تعالى: **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (القصص) .**

أورد الطبري في تفسيره عن ابن عباس قال: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى، فصالحه على كل ألف دينار ديناراً، وكل ألف شيء شيئاً، أو قال: وكل ألف شاة شاة، قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً، فجمع بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وأنت سيدنا، فمرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي، فتجعلوها جعلاً، فتقذفه بنفسها، فدعوها فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى، فقال لموسى: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم، فخرج إليهم وهم في براح من الأرض، فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت، أو رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: إن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا! قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال: ادعوها، فإن قالت، فهو كما قالت؛ فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة، قالت: يا لبيك، قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، وكذبوا، ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك

بنفسي ؛ فوثب، فسجد وهو بينهم ، فأوحى الله إليه: مر الأرض بما شئت، قال : يا أرض خذيهم! فأخذتهم إلى أقدامهم ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال : يا أرض خذيهم، فأخذتهم ! إلى حقيهم، ثم قال : يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم قال : فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، ويتضرعون إليه قال : يا أرض خذيهم، فانطبقت عليهم^(١) .

ونحن نرى من هذه القصة أن العقوبة الإلهية في الدنيا تقع على من يتهم الأبرياء ويؤذيهم بغير وجه حق ويستتهن بأعراضهم، وإن كانت هذه العقوبة قد حلت بقارون لإيذائه موسى-عليه السلام- وهو نبي من الأنبياء، واتهامه بالباطل فإن هناك شواهد في حياة عامة الناس بعقوبات عاجلة لمن يشهد زوراً أو يتهم الأبرياء بالباطل، والقصص في هذا المجال كثير والأحوال مشاهدة في عموم المجتمعات، ناهيك عما عند الله من عقوبة لمن يظلم الناس ويتهممهم زوراً وبهتاناً.

داود وسليمان -عليهما السلام- :

كان داود -عليه السلام- من أبرز ملوك بني إسرائيل في بيت المقدس، وقد كان حكمه سنة ١٠١٠ قبل الميلاد^(٢)، كما كان في

(١) الطبري، تفسيره ج ١٠/١٠٩-١١٠ .

وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤/١٨٥، انظر عنوان: (قصة قارون مع موسى -عليه السلام-) عند، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٣٠٩ .

(٢) كينيث كانتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص١، عبد الغني عبود، أنبياء الله في الحياة المعاصرة، ص ٥٧ .

الوقت نفسه نبياً مرسلًا ، وقد ورد الحديث عنه في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً^(١) .

بدأ بروز داود -عليه السلام- في بني إسرائيل بصفته جندياً مقاتلاً محترفاً في جيش طالوت الذي وردت قصته في القرآن في قوله تعالى : **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنَاقِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ** **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)** **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)** **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨)** **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)** **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)** **فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (البقرة) .**

(١) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٣٦١.

لقد كان داود جندياً في أول حياته ، وأسهم في الجهاد ضد أعداء أمته وتأمينها في موطنها، ثم تدرج حتى اختاره بنو إسرائيل ملكاً عليهم بعد موت صهره طالوت-الملك السابق-، وبعد أحداث متفرقة وطويلة لانجذ لها حديثاً في القرآن ولا في السنة ولا عند المؤرخين المسلمين سوى ما نقل لنا من الإسرائيليات^(١) .

كما كان نبي الله داود خليفة في الأرض كما ورد في القرآن الكريم ومهمته إقامة الحق حتى يأمن الناس ، وأهم ذلك العدل والإنصاف بين الناس فبه يسود الأمن وينتظم ، وقد أشار القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (ص) .

ويقول تعالى : وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ (ص) .

يذكر المفسرون أسباباً عديدة لشدة ملكه ، منها أن الله ألهمه في الحكم بقضايا معينة بين الناس ، فثبت لهم قوته وحزمه وتأديبه للمجرمين فكان حكمه قوياً مهيباً ، وكان الأمن سائداً بين رعيته وفي سائر أنحاء مملكته^(٢) .

(١) الطبري، تاريخه، ج١/٣٤٨ تفسيره، ج١/٦٢١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١/٩٢ ، وانظر : الشوكاني، فتح القدير ١/٢٦٧ ، محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص١٤٥ ، وانظر سفر صمويل الأول ٨،٧ ، وكينيث كانتزر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥٧٣ .

(٢) الطبري، تاريخه، ج١/٣٤٨ ، تفسيره، ج١٠/٥٦٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية، ج٢/١٢ ، وانظر : الشوكاني، فتح القدير ١/٢٦٧ .

كما ألهم الله نبيه داود -عليه السلام- صناعة الدروع ، وهي ملابس وقائية يلبسها المقاتلون ليأمنوا من ضربات الأعداء ولتحمي أجسادهم من السيوف وغيرها من الأسلحة الجارحة ، وقد عرفت صناعة الدروع من حلقات السلاسل لأول مرة على يد داود -عليه السلام-^(١) يقول تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٥) أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (سبا) .

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (الأنبياء) .

وقد أدب الله سبحانه وتعالى نبيه داود -عليه السلام- بعد أن احتاج إلى ذلك في قضية اختلف المؤرخون والمفسرون فيها ، وأخطأ اليهود في حق نبيهم حيث نسبوا له فعلاً لا يصدر من عامة الناس ولا يصدر إلا عن المجرمين ، فكيف بنبي طاهر مصطفى ، ولذلك احترمت علماء المسلمين داود -عليه السلام- أكثر مما احترمه بنو إسرائيل أنفسهم^(٢) ، ونزهه المسلمون عن قولهم ، لكن من المؤكد أن الصواب قد

(١) الطبري ، تفسيره ، ج ١٠ / ٣٥١ ، الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ / ٤١٩ .

(٢) يستحي الإنسان أن يورد ما قاله بنو إسرائيل عن نبيهم داود -عليه السلام- لو كان عن أي إنسان آخر فما بالك بنسبته لنبي .

وقد تحدثت أسفار العهد القديم عن ذلك ، بوقاحة تنم عن سوء أدب ممن حرفوا كتابهم ، انظر سفر صمويل الثاني ١١ ، وكينيث كيتزر وآخرون ، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، ص ٦٦١ ، ومحمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٤٩ ، محمد الفقي ، قصص الأنبياء ، ص ٣٥٦ ، وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٢ / ١٣ .

جانب داود -عليه السلام- فبعث الله إليه نفرًا من الملائكة على شكل خصماء جاءوا ليحكم بينهم لكنهم جاءوا ليعلموه بخطئه ويوجهوه إلى الصواب ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (ص) .

لقد وهب الله لعبده داود ابناً صالحاً عالماً ثم أصبح نبياً ، كان نعم العون لأبيه على إقامة العدل والحق والإنصاف بين الناس^(١) ، وهب الله لداود سليمان -عليه السلام- الذي أثنى الله عليه في قوله : وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (ص) .

لقد شارك سليمان -عليه السلام- مع أبيه في الحكم بين الناس وإقامة العدل ، وكان مجتمع الدولة في زمانه يتكون من الرعاة ومن المزارعين ، وكانت تحصل بينهم بعض المشكلات ، وقد اعتدى بعض

(١) الطبري، تفسيره، ج ١٠/٥٧٦ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/١٨ ، وانظر :
اليقوبي، تاريخه، ج ١/٥٧ .

الرعاة بأغنامهم على مزرعة عنب لأناس اشتكواهم على الملك داود وهو القاضي بين الناس في زمانه ، وكان سليمان يحضر مجلسه بعد أن بلغ مبلغ الرجال ، ويشارك في القضاء والحكم بين الناس ، حتى يعرف كل واحد منهم حقه ويعم الأمن بينهم ، وحينما استمع داود وسليمان للقضية المعروضة عليهما اختلفت وجهات النظر بينهما فكان الحكم الصائب مع سليمان -عليه السلام- مع اجتهاد داود وفضله وعلمه ، وكان فيه تأديب للمعتدين من الرعاة وتعويض لأصحاب الحرث^(١) ، يقول الله تعالى :

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (الأنبياء) .

كان سليمان تلميذاً لأبيه في كل شيء لكنه تلميذ كاد يتفوق عليه وخصوصاً في القضاء والحكم بين الناس وإقامة العدل بينهم^(٢) ، وهذا من أهم أسباب الأمن في مملكته التي ورثها عن أبيه ، وقد تفضل الله على سليمان وعلى أبيه بأن علمهم علوماً لا يعرفها كثير من الناس ، حيث كانوا على قدرة للتفاهم مع بعض المخلوقات من الطيور والحشرات^(٣) وغيرها ، يفهمون لغتها ويستفيدون منها في بعض

(١) محمد الفقي ، قصص الأنبياء ، ص ٣٧٦ .

(٢) محمد عبدالسلام ، بنو إسرائيل في القرآن ، ص ٥٠ .

(٣) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ / ٢٠ .

المهمات^(١) ، يقول الله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمِنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) (النمل) . لقد آتى الله سليمان -عليه السلام- قوة من الجند كانت له سيطرة عليهم ، منهم الإنس ومنهم الجن ومنهم الطير^(٢) ، والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ، ونحن نرى في الوقت الحاضر مقدرة بعض القوات أو الأجهزة الأمنية والعسكرية على استخدام الطيور أو الدلافين أو الكلاب لمهمات أمنية وعسكرية نتيجة لأبحاث وتدريب ، كما نرى أن الأبحاث أثبتت أن للطيور والحيوانات لغة مشتركة ومفهومة ، وإذا كانت جهود البشر اكتشفت بعض الأمور واستطاعت الاستفادة من هذه المخلوقات بشكل أو آخر فإن الله سبحانه وتعالى أعلى وأجل وأعظم وأقدر على تسخيرها لسليمان ولغيره ، يقول الله سبحانه وتعالى : وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) (النمل) .

ويتحدث القرآن عن حادثة لسليمان وجنده بينت شكر سليمان لله تعالى على تسخير المخلوقات له وعلى إرجاعه هذا الفضل وهذه القوة لله ، يقول تعالى : حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (النمل) .

(١) الطبري، تفسيره، ج ٩/٥٠٢ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/١٥ و ١٨ .

(٢) الطبري، تفسيره، ج ٩/٥٠٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/٢٠ ، محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٧٧ .

كما بينت آيات القرآن الكريم استفادة سليمان -عليه السلام- من الهدهد - وهو من الطيور المشهورة - في الحصول على الأخبار^(١) ومتابعة الجرائم ، وأعظمها عند سليمان -عليه السلام- وعند الأنبياء جميعاً جريمة الشرك ، وبينت ما قام به هذا الطائر من دور في حمل رسالة من سليمان لمن يحتاجون إلى ذلك يقول تعالى : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (النمل) .

لقد كانت هذه المرأة حكيمة في قيادتها^(٢) ، حريصة على أمن قومها ؛ ولذلك بادرت بجمعهم واستشارتهم فيما ينبغي أن تكون عليه تصرفاتها حول رسالة سليمان وتهديده لبلادها ، لذلك فقد استشارتهم بقولها يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (النمل) .

(١) الطبري، تاريخه، ج ٣٥٤/١ ، تفسيره، ج ٥٠٦/٩ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٢/٢ ، محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٦٦ .

(٢) الطبري، تاريخه، ج ٣٥٥/١ ، تفسيره، ج ٥١٤/٩ ، ابن الأثير، الكامل، ج ٢٣٥/١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٢/١ .

فجاء الجواب من مستشاريها: نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْرِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) (النمل) .

فطرح عليهم قضية أمن بلدها بعامه وما يمكن أن يحدث فيها من فساد نتيجة معاندة سليمان ودخوله بلادها بالقوة وما يحدث من اضطراب عام وفساد في حال الاحتلال : قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) (النمل) .

ولذلك حاولت ملاطفة سليمان بالمال: وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) (النمل) .

لكن سليمان لم يكن هدفه المال^(١) ، وإنما كانت دعوة التوحيد وترك الشرك هي أهم أهدافه ، ولذلك فقد احتج على إرسال المال وبين غناه عن ذلك وأن المبدأ عنده هو الأهم : فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) (النمل) .

واستمر -عليه السلام- في تهديد أمن بلقيس وأمن بلادها إن لم تسلم وتستسلم وتستقم على منهج الله الحق والعدل ، قال تعالى: ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (النمل) .

(١) أشارت أسفار العهد القديم إلى قصة سليمان مع ملكة سبأ ، إلا أنهم أساءوا الأدب مع سليمان كعادة اليهود مع أنبيائهم ، حيث جعلوا هدف سليمان المال والذهب ، وهذا مخالف لما ذكره القرآن من إنكار سليمان رغبته في المال (انظر سفر الملوك ١٠) .

وانظر : دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٦٨ .

وقد انتهت تلك القصة والمراسلات باعتراف ملكة سبأ بالحق والعدل وإيمانها بالله وإقرارها بذلك^(١) ، يقول تعالى : قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْآيَةِ (النمل) .

كما كان سليمان يعد الخيل الخاصة بالجهاد وما يرتبط بالقوة وقيام دولته بواجب الدعوة وإرعاب الأعداء ، حتى إنه كان يتفقد الخيول وما يتبعها من عروض بنفسه - عليه السلام - يقول تعالى : وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ^(٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَاتُ الْجِيَادُ^(٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ^(٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفُطِّقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (ص) .

ويتحدث المفسرون والمؤرخون عن محاولة اغتصاب للملك والحكم من سليمان وأن الله سبحانه وتعالى أعانه وأعاد إليه ملكه بعد فترة ابتلاء^(٢) ، ويستدلون على هذه المرحلة العصيبة من حياة سليمان وما مر به من فتنة بقوله تعالى : وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ^(٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَأَبْنِغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (ص) .

عيسى - عليه السلام - :

عيسى بن مريم هو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم

(١) الطبري، تاريخه، ج١/ ٣٥٧ ، ابن الأثير، الكامل، ج١/ ٢٣٧ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/ ٢٤ ، محمد الفقي، قصص الأنبياء، ٣٧١ .

(٢) الطبري، تفسيره، ج٩/ ٥٨١ .

وروح منه، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، ولد من غير أب، وولادته في حد ذاتها معجزة، والحديث عن حياة عيسى -عليه السلام- يقرن بالحديث عن أمه مريم، ويبدأ مع جدته امرأة عمران^(١)، يقول تعالى: إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (آل عمران).

لقد كانت مريم وذريتها مُعَاذَةً بالله من الشيطان الرجيم ولذلك نشأت نشأة صالحة، ومرت في حياتها بحزن وضعتها في مكان التهمة أمام مجتمع بني إسرائيل الذي كانت تعيش فيه في بيت المقدس^(٢)، حيث كان لهذا المجتمع في تلك الفترة قيمة الخاصة المستقاة من شريعة موسى -عليه السلام- والأنبياء من بعده، ولذلك كانت مريم عليها السلام جزءاً من هذا المجتمع وعُرفت بصلاحها التام، وأنها نشأت في بيت علم وصلاح، وما عرف عن أهلها غير ذلك، وكانت امرأة مصطفىة وطاهرة يقول تعالى: وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (آل عمران).

(١) الجمل، إن مثل عيسى عند الله، ص ١١٥.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٧٤، الطبري، تاريخه، ج ١/١٩، تفسيره، ج ٣/٢٦٩، ابن الأثير، الكامل، ج ١/٣٠٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/٦٣، حسن الجمل، إن مثل عيسى عند الله، ص ٧٢، الصابوني، النبوة، والأنبياء، ص ١٩٣.

امتحنت مريم - عليها السلام - بالحمل دون أن يمسه بشر، وكانت عرضة للانتقاد في مجتمع يعد فيه الزنا جريمة كبرى، ولذلك خافت من الناس واتهامها به على الرغم من براءتها، ومن خلال أحداث المولد لعيسى - عليه السلام -^(١) يتضح أن هناك رقابة اجتماعية على الجرائم عموماً وعلى الزنا خصوصاً، وأن عيون المجتمع لا ترحم في هذا المجال^(٢)، ولذلك خشيت على نفسها وابتعدت عن مجتمعها، يقول تعالى: فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا (٢٥) فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (مريم).

بعد الولادة أصبح عيسى - عليه السلام - بين يدي أمه مريم البتول، وخشيت من قومها أكثر، خصوصاً أنها من عائلة سالحة تقية، يضرب بها المثل في العفة والطهارة^(٣)، وكان لابد لها من المواجهة فالله يرعاها ويحميها وقد منحها من المعجزات ما يدفع عنها الشبهة، يقول تعالى: فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (مريم).

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦٣/٢ حيث وضع عنواناً (ميلاد العبد الرسل عيسى بن مريم البتول).

(٢) لمزيد من التفاصيل عن نظرة المجتمع لمريم منذ حملها (انظر)، عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء ص ٤٥٩. الفقي، قصص الأنبياء، ص ٤٣٥.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج ٧٣/١، الطبري، تفسيره، ج ٣٣٥/٨، ابن الأثير، الكامل، ج ٣١١/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦٧/١.

لقد تعرضت مريم -عليها السلام- للضغط والاتهام وهي لم تجرم، بل كان حملها بعتسى -عليه السلام- كرامة لها، ولذلك فإن الله وجهها وأعطاهما من المعجزات ما تدفع به عن نفسها، يقول تعالى: فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (مريم).

بعد ولادة عيسى -عليه السلام- وما جرى له من معجزات كان مهدداً من قبل الملك الروماني لفلسطين هيرودس^(١)، الذي حاول التعرض لعيسى -عليه السلام- ولأمه فاضطرت مع أهلها إلى الهجرة خارج فلسطين والتوجه إلى مصر، وقيل إلى دمشق أو مكان آخر للنجاة^(٢) من هذا المجرم الذي كان يهدد حياة المسيح -عليه السلام- وأمه بالخطر، وهذا مفهوم المفسرين^(٣) من قوله تعالى: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (المؤمنون).

(١) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٤٦١.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٦٩، الطبري، تاريخه، ج ١/١٩، ٢٠، ابن الأثير، الكامل، ج ١/٣١٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/٧٥، حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٨٩.

(٣) انظر: الطبري، تفسيره، ج ٩/٢١٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/٧٥.

وبعد أن كبر عيسى -عليه السلام- نزل عليه الوحي وحمل رسالة الله إلى بني إسرائيل وكان مما جاء به أن أمر-عليه السلام- بشريعة تنظم حياة الناس وحقوقهم وواجباتهم ، وهذا بالطبع يوجد الأمن والسلام فيما بينهم ، وقد كانت شريعة عيسى-عليه السلام- من التوراة ومن الإنجيل يقول تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ اللَّهَ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (المائدة).

ولقد جاهد عيسى -عليه السلام- في حياته ليحكم بين الناس بشرع الله ويلزمهم بالتوراة ، وتعرض بسبب ذلك للأذى من بني إسرائيل ^(١).

حيث كان طوال بقائه عليه السلام مهتداً من قبل يهود ، حيث حاولوا التخلص منه أكثر من مرة ، كما وشوا به إلى الحاكم الروماني واتهموه بتهم باطلة ، وساقوا شهود زور لذلك ، ودعوا المحاكمته أكثر من مرة ، حتى انتهى الأمر بهم للحكم بصلبه ، فنجاه الله منهم بمعجزة خارقة كما نجي إبراهيم عليه السلام .

(١) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء حيث ذكر عدد من المواقف التي تبين دفاع عيسى عن الشريعة ص ٤٦٨ .

عامّة الأنبياء:

خَوْفَ الله سبحانه وتعالى الكفرة من أقوام الأنبياء المختلفين بأنهم لا يأمنون من غضب الله ، وهددهم الله سبحانه وتعالى بأن يفقدوا أمنهم ، وبين سبحانه أنه هو القادر على إعطاء الأمن ، فإن هم كفروا فهم مهددون دائماً وأبداً بفقد أغلى ما لديهم وهو رضى الله سبحانه وتعالى وما يتبع ذلك من خوف وهلع ، فإذا حل غضب الله بقوم فلا أمان لهم ولا بركة ولا طمأنينة ، كما أن من يكفر بالله ورسله مهدد بالجوع والخوف والعذاب والذل والصغار وبتسليط بعضهم على بعض في الحياة الدنيا ، وبالنار في الآخرة .

يقول الله سبحانه وتعالى :

أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (الأعراف) .

وقد تعرضت العديد من الأمم لغضب الله وأليم عقابه ففقدوا الأمن والعز ، بل والحياة وتوعدهم الله بسوء العذاب يوم القيامة ، يقول تعالى : الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

عَوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (إبراهيم) .

ويقول تعالى: وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (إبراهيم) .

لقد كان الكفار معاندين معتدين على أنبيائهم وعلى أمنهم مؤذنين لهم، يقول تعالى عن حال أولئك لو آمنوا ، وما يأتيهم من أمان وخير وبركة بسبب إيمانهم ورضا الله سبحانه وتعالى عنهم: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (الأعراف) .

وضرب الله أمثلة للعديد من الأقوام المفسدين المعتدين الذين

أهلكوا أنفسهم ، يقول تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ
 (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩)
 وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ (١٢) فَصَبَّ
 عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) (الفجر) .

إن في هذه الآيات إشارة واضحة أن الله سبحانه وتعالى كان
 بالمرصاد للأمم السابقة بعامة نجيّ منهم من نَجَا وأهلك منهم من هلك ،
 وأنه سبحانه وتعالى بالمرصاد في كل حين للأمم المختلفة منذ عصر نبينا
 محمد - ﷺ - وإلى ما لانهاية فهو يحذر من غضبه وعقابه ويذكر أن
 من يأتي ما يُغضب الله فهو قادر عليه ولا يعجزه شيء ، ولا أمن له
 ولا أمان ، حيث إنه تحت قدرة الله أينما كان.

ويؤكد ذلك قول الله تعالى : وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً
 يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ
 بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) (النحل) .

* * * *

الخاتمة :

من قراءة تاريخ الأنبياء واستعراض حياتهم وتاريخهم وما مربهم من أحداث نلاحظ أن نظرهم إلى الأمن هي نظرة عامة مرتبطة بالإيمان بالله وأداء حقوقه ، وتنفيذ شرعه ونظامه ، بما فيه من حفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم ، كما أن الأنبياء عموماً جاءوا ببدء التشريع والتنظيم لحياة الناس وحفظ أنفسهم وأموالهم بما أوحى الله لهم من شرائع منذ آدم - عليه السلام - إلى محمد - ﷺ - ، كما نلاحظ وجود عدد من الحوادث المتعلقة بحياة الأنبياء ، منها حوادث قتل أو سرقة أو محاولات الاعتداء على الأعراض وغيرها ، وقد دل القرآن الكريم من خلال تلك الحوادث على استخدام الأدلة والقرائن والتحقيق في بعض تلك الجرائم ، وجمع المعلومات المتعلقة بها للوصول إلى الحقيقة ، والعقوبات التي تعرض لها من اعتدى على الآخرين ، وكيف أن الله نصر المظلومين على من اعتدى عليهم وأجرم في حقهم ، وكيف انتهت الأيام بحاجة المجرمين إلى من قاموا بالاعتداء عليهم ، كما شملت تلك القصص حرص الأنبياء على تطهير المجتمعات البشرية من مختلف الجرائم المتعلقة بالشرف والمال والنفس ، بالإضافة إلى تطهير المجتمعات من الجريمة الكبرى وهي الشرك بالله ، ولابد لنا من قراءة كتاب الله والاستفادة مما ورد فيه في مختلف الجوانب ، وكما نعلم فإن معظم القرآن آيات متعلقة بقصص الأنبياء ، ولكن فيها العلم الذي لا

غنى لأحد عنه مهما كان تخصصه ، إذ إن تلك القصص تؤسس لمبادئ رئيسة في حياة الناس والمجتمعات البشرية ، رصدها الله سبحانه وتعالى ، وهو المراقب للبشر العالم بأحوالهم منذ آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولذلك ففيها التاريخ والعبرة لكل الأمم منذ القدم إلى ما لانهاية . وإني لا أدعي الإحاطة بهذا الموضوع فهو يحتاج إلى مزيد بحث وعناية ، وإني أدعو الباحثين لمزيد من الدراسة لقضايا الأمن في حياة الأنبياء ، كما أذكر أن ما يتعلق بسيرة الرسول - ﷺ - يعد علماً مستقلاً بذاته له مصادره الخاصة .

والله المستعان . . .

* * * *

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤-٢٥٦هـ).

١ - صحيح البخاري ، الرياض ، دار إشبيلية ، ١٤١٨هـ

البدر اوي : رشدي

٢ - قصص الأنبياء والتاريخ ، الجزء الأول آدم-صالح القاهرة، ١٩٩٦م.

البلادي : عاتق غيث

٣ - معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط ١ ، مكة المكرمة ، دار مكة

للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ

الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩-٢٧٩هـ).

٤ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت

لبنان، دار إحياء التراث العربي (د. ت) .

الثعلبي : أحمد بن محمد بن إبراهيم.

٥ - قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، القاهرة، شركة الشمرلي،

١٩٩٤م .

الجالس : حمد

٦ - المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (شمال المملكة) ، القسم الثالث ،

الرياض ، دار اليمامة للترجمة والنشر (د. ت) .

الجميل : حسن عز الدين.

٧ - إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، ط ١ بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤هـ

الحليسي : نواف صالح

٨ - المنهج الاقتصادي في المكايل والموازن لنبي الله شعيب - عليه السلام -
ط ٣ ، الرياض ١٤١٤ هـ

دعيس : الحمزة

٩ - أكرم الناس (ملحمة شعرية) ، القاهرة (د.ت) .

ابن حنبل : الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ).

١٠ - المسند ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨ هـ

دروزة : محمد عزة

١١ - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، بيروت لبنان ، المكتبة العصرية ،
١٣٨٩ هـ

دوح : حسن.

١٢ - ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء ، ط ١ ، القاهرة ، دار الصحوة ،
١٤١٥ هـ

الراجحي : عبد الغني.

١٣ - آدم - عليه السلام - كما تحدث القرآن الكريم ، القاهرة ، مؤسسة
مكة ، (د.ت) .

ابن سعد : محمد بن منيع الهاشمي ، مولا هم - كاتب الواقدي -
(ت ٢٣٠ هـ).

١٤ - الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار صادر ، (ب.ت).

السعدي : عبد الرحمن بن ناصر.

١٥ - قصص الأنبياء ، ط ١ ، الرياض ، مكتبة أصول السلف ، ١٤١٦ هـ

السندي : عبد القادر حبيب

١٦ - الذهب المسبوك في تحقيق مرويات غزوة تبوك، الكويت، مكتبة المعلا
١٤٠٦هـ

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ).

١٧ - فتح القدير، ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٣هـ
الصابوني: محمد علي.

١٨ - النبوة والأنبياء، ط ٢، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ

الصالح الشامي: محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ).

١٩ - سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، ج ٥ تحقيق فهد محمد
شلتوت وجودة عبد الرحمن هلال، ط ١، القاهرة، المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية، ١٤٠٤هـ

طبارة: عفيف عبد الفتاح.

٢٠ - مع الأنبياء في القرآن الكريم، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣ م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

٢١ - تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الفكر، (د. ت).

٢٢ - جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، بيروت، دار الكتب
العلمية، ١٤١٢هـ.

عبود: عبد الغني.

٢٣ - أنبياء الله والحياة المعاصرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨ م.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ - ٥٧١هـ).

٢٤ - تاريخ دمشق، نسخة مصورة من المخطوطات الأصلية، المدينة المنورة،
مكتبة الدار، ١٤٠٧هـ العطاس: هادون

- ٢٥ - عاد في التاريخ، ط ١، القاهرة، مكتبة حسان، ١٣٩٨ هـ
- الفاكهي: أبو عبد الله أحمد بن إسحاق (٢٧٩ هـ تقريباً)
- ٢٦ - أخبار مكة، دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
- أبو الفداء: المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢ هـ).
- ٢٧ - المختصر في أخبار البشر، تعليق محمود ديب، ط ١، بيروت دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ
- الفقي: محمد
- ٢٨ - قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، ط ٢، القاهرة مكتبة وهبة، ١٤١٠ هـ
- قطب: سيد
- ٢٩ - في ظلال القرآن، ط ٤، بيروت، دار الشروق، ١٣٩٧ هـ
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ).
- ٣٠ - البداية والنهاية، ط ٣، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨ م.
- كانترز: كينيث (وآخرون)
- ٣١ - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. لندن، جمعية الإنجيل العالمية، ١٩٩٧ م
- النجار: عبد الوهاب
- ٣٢ - قصص الأنبياء، القاهرة، دار التراث (د. ت).
- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت ٢١٣ هـ).
- ٣٣ - السيرة النبوية، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة شقرون، القاهرة (د. ت).

- ابن ماجه: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ((٢٠٧ - ٢٧٥هـ)).
- ٣٤ - سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٧٣هـ
محمد: محمد عبد السلام.
- ٣٥ - بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ط١، الكويت مكتبة الفلاح ١٤٠٠هـ
مجموعة من العلماء.
- ٣٦ - المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعته المكتبة الإسلامية، استانبول، (د.ت).
- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ).
- ٣٧ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٥، تحقيق محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٣هـ
ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ).
- ٣٨ - لسان العرب، بيروت، دار صادر، (د.ت).
مهران: محمد بيومي
- ٣٩ - دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) بلاد العرب، الرياض، جامعة الإمام ١٤٠٠هـ
ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ).
- ٤٠ - معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٢هـ).
- ٤١ - تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، ١٣٧٩هـ